منظومة الجمل القرآنية المكررة في ضوء السياق والمعنى

دراسة نصية دلالية

د. عبد المحسن أحمد الطبطبائي(*)

مقدمة

يتناول هذا البحث الجملةَ المكررةَ في القرآن الكريم في ضوء السياق الذي تقع فيه، والمعنى الذي تدل عليه، في إطار نحويّ دلاليّ مقارن، يربط ما بين هذه الجمل المكرَّرة، ويُشرِكها مع سوابقها ولواحقها، ويراعي المقام والقصد، ويحاول إيجاد تفسير نصّي لتكرارها، يقرّب المعنى، ويوضّح الفكرة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة إيجاد تفسير نصّي للقرآن الكريم، يقوم على أسس نصّية ضمن معطيات نحو النص، ويعنى بالقضية المحورية للنص، أو النظرة الشاملة المستديرة، التي تؤدي إلى الفهم الكامل للنص، بما فيه من دلالة ومقاصد.

وتكمن أهمية البحث أيضاً في الدعوة إلى اكتشاف أسرار جديدة في معاني القرآن الكريم، وأهمية ذلك في التأكيد على إعجازه، وإثبات صدقه، وتفرد نظمه.

كما تكمن أهميته في إعادة النظر في التطبيق التفسيري للتناص في القرآن الكريم، واكتشاف العلاقات التماسكية للنص في ضوء ذلك التناص؛ بما يزيل- إلى حد ما- الاحتمالات البعيدة في تفسير النص القرآني.

---

* - قسم اللغة العربية وآدابها -كلية الآداب - جامعة الكويت .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة النص القرآني دراسةً نصّية، تعنى بدلالته، ومقامه، ومقصده، وتنتبه إلى كليته، واستدارته، ووحدته، واكتماله.

كما يهدف البحث إلى معرفة أسرار الجمل القرآنية المكررة، والتعرف إلى قواعد الربط وقواعد التناهي فيها، وما تؤديه هذه الجمل من وظائف دلالية، وجمالية.

وكذلك يهدف البحث إلى معرفة المقاصد الدلالية للجملة المكررة، ودور السياق في معرفة تلك المقاصد، سواء كان سياقاً لغوياً، أو سياقاً غير لغوي؛ وذلك لتحديد مكونات النص، وفهمه على أساس حقيقي تواصلي.

ويهدف البحث أيضاً إلى دراسة القضية المحورية للجملة القرآنية المكررة، والقضايا المنبثقة منها، وأثر ذلك في تماسك النص القرآني وانسجامه.

وأشير ههنا إلى ما اطلعت عليه من الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع التكرار في القرآن الكريم تناولاً نصّياً دلاليّاً، ويشمل ذلك الدراسات الآتية:

١- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، رسالة من إعداد الدكتور صالح بن عبدالله الشثري، طبعت بعناية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ[١].

٢- قضية التكرار في كتاب الله، بحث من إعداد: الدكتور فضل حسن عباس، نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- الكويت، إبريل ١٩٨٧م[٢].

٣- التكرار في القرآن الكريم، بحث من إعداد: الدكتور سعد عبدالعظيم محمد، نشر في صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (الإصدار الرابع)- مصر، ١٩٩٧م[٣].

٤- التكرار اللفظي في القرآن: ترجمة المعنى أم الشكل، بحث من إعداد الدكتور أحمد عبدالفتاح محمد علي الليثي، نشر في مجلة جامعة الملك سعود (اللغات والترجمة)- المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م[٤].

٥- التكرار الصوتي في القرآن الكريم: دراسة دلالية في سورة الرحمن، بحث من إعداد: الدكتورة شهرزاد بن يونس، نشر في مجلة الدراسات اللغوية، جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر، ٢٠٠٩م[٥].

٦- التكرار في سورة الرحمن، بحث من إعداد: الدكتور حسن محمد عبدالمقصود، نشر في مجلة فكر وإبداع- القاهرة، نوفمبر ٢٠١٠م[٦].

٧- دلالة التكرار في سورة الرحمن، بحث من إعداد: الأستاذة زبيدة بن أسباع، نشر في مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة (الجزائر)، ٢٠١٢م[٧].

أما من حيث المنهج، فقد أعددت هذه الدراسة وفقاً لمنهج نصّي تحليلي، يعتمد على جمع النصوص ومقارنتها وتحليلها؛ للوصول إلى النتائج.

وقد خرج البحث على صورته النهائية مؤلفاً من مقدمة فيها أهمية البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة في مجاله، ومن تمهيد فيه توطئة لموضوع البحث، وتقديم لمنهجه وأقسامه، ومن مبحثين؛ الأول نظري، يتضمن ماهية الجملة المكررة وأقسامها ومقاصدها وقضاياها في القرآن الكريم، والثاني تطبيقي، يتضمن التحليل النصّي والدلالي لمنظومة الجمل المكررة في القرآن الكريم، ثم خاتمة فيها النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

تمهيد

التَّكْرار- بفتح التاء- مصدر على وزن (تَفْعال)، وهو لغةً: بمعنى الرجوع، والعودة، والإعادة، والكَرُّ: الرجوع على الشيء[٨]، والتِّكرار- بكسر التاء- اسم على وزن (تِفْعال).

ويقال: كَرَّرته تَكريراً، وتَكراراً، إذا أعدته مرة بعد أخرى[٩].

وكان سيبويه (١٨٠هـ) يجعل (التَّفعال) تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثّلاثيِّ، فيصير (التَّهدار) بمنزلة قولك: الهَدر الكثير، و(التَّلعاب) بمنزلة اللعب الكثيرِ، وكان الفرّاء وغيره من الكوفيين يجعلون (التَّفعال) بمنزلة (التَّفْعيل)، والألفَ عِوضاً من الياء، ويجعلون ألف (التَّكرار) و(التَّرداد) بمنزلة ياءِ (تكْرِير) و(ترْدِيد)[١٠]، **وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد**[١١].

والتَّكرار اصطلاحاً: هو "إعادة الحرف، أو الكلمة، أو الجملة، أو العبارة، أو ما فوق ذلك، بنصِّها في سياق واحد، لغرض يستدعي إعادتها، وفي مقام يستدعي هذه الإعادة"[١٢].

ويلاحظ من خلال التعريف السابق وجود مصطلحات نصيّة مهمة، تشكِّل دوراً أساسياً في تحديد المعنى الاصطلاحي للتكرار، وهذه المصطلحات المهمة هي: السياق، والغرض (القصد)، والمقام، وهذا يعني "أنّ وحدة السياق، ووحدة المقام، شرط للتكرار، فإذا اختلف السياق، فلا تكرار، وإذا تغيرت العبارة، فلا تكرار"[١٣].

أما في نحو النص، فالتكرار المقصود هنا هو التكرار اللفظي، وهو قسمان؛ تكرار كلي، وهو تكرار اللفظ أو الجملة كلها كما هي، وتكرار جزئي، ويعني به نقل العناصر التي سبق استخدامها إلى صور مختلفة، كأن تستخدم الصيغ الصرفية المختلفة من الجذر الواحد في مواضع متعددة، أو أن ينقل الفعل إلى الاسم، أو العكس، وهكذا[١٤].

المبحث الأول- قضايا الجملة المكررة والنص في القرآن الكريم:

١- ماهيّة الجملة المكررة في النص القرآني:

تعد الجملة المكررة صورة من صور الروابط التكرارية في نحو النص[١٥]، وهي– بالضرورة– نمط من أنماط التكرار المحض (الكُلِّي)، وذلك مع وحدة المرجع.

ولعلّ من أشهر الجمل المكررة– على هذا الأساس– الآية الكريمة (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[١٦] التي تكررت إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن[١٧]، "والتكرار على هذا النحو لافت للنظر في تمييز النص إزاء نصوص أخرى، فهو يفضي إلى تكامل بين قواعد الربط وقواعد التناهي، حيث توجد الجملة المكررة في مكان تؤدي به مهمتين تكون ختاماً لكلام، كالتعقيب، وبداية لكلام يبتدأ به (مضمون المعنى القادم)، بالإضافة إلى أنها تساعد على تكثيف الدلالة وتلوين النص بمعانٍ ثانية"[١٨].

ومن هنا يتضح أن الجملة المكررة لا تكتفي بوظيفة الربط فحسب، بل تتعدى ذلك إلى وظيفتين أخريين، وظيفة دلالية، ووظيفة جمالية.

وإذا نظرنا إلى أنماط التكرار في القرآن الكريم، وجدنا اتفاقاً في أن له ثلاثة أنماط هي:

النمط الأول- تكرار الحرف: كما في قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا)[١٩]، وكما في قوله أيضاً: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُون)[٢٠]، فقد تكرر الحرف (في) في الآية الأولى مرتين، وتكرر الحرف (أنَّ) واسمه (الضمير المتصل) في الآية الثانية مرتين أيضاً.

النمط الثاني- تكرار اللفظ المفرد: كما في قوله تعالى: (كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)[٢١]، وكقوله: (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين)[٢٢]، وكقوله: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون)[٢٣]، فقد تكرر في الآية الأولى الاسم، وفي الثانية الفعل، وفي الثالثة اسم الفعل، وكل ذلك كان من قبيل تكرار اللفظ المفرد.

النمط الثالث- تكرار الجملة: كما في قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[٢٤]، وقوله: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[٢٥]، وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين)[٢٦]، فقد تكررت كل آية من الآيات السابقة مرتين أو أكثر في السورة التي وردت فيها[٢٧].

وهذا النوع الأخير هو مادة هذا البحث، ويمكن تقسيم الجملة المكررة في القرآن الكريم قسمين:

الأول- جملة مكررة تكراراً كلياً، ولم يقع في أحد أجزائها تغير، كما في الآيات السابقة.

الثاني- جملة مكررة تكراراً كلياً، ووقع في أحد أجزائها تغير، وهذا التغير على أنواع، يمكن حصرها فيما يلي:

أ- **تغير في الصيغة**، كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)[٢٨]، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)[٢٩].

ب- **تغير في الإفراد والجمع**، كما في قوله تعالى: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي)[٣٠] وقوله: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي)[٣١].

تغير في التذكير والتأنيث، كما في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِين)[٣٢]، وقوله: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين)[٣٣].

ت- **تغير في التعريف والتنكير**، كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا)[٣٤]، وقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا)[٣٥].

ث- **تغير في اختيار الحروف**، كما في قوله تعالى: (كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى)[٣٦]، وقوله: (كُلٌّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)[٣٧].

ج- **تغير في الذكر والحذف**، كما في قوله تعالى: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى)[٣٨]، وقوله: (رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى)[٣٩].

تغير في التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون)[٤٠]، وقوله: (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون)[٤١].

ح- **تغير في الفصل والوصل**، كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّه رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم)[٤٢]، وقوله: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم)[٤٣].

وهذا النوع الذي يقع فيه التغير- كما تبين- هو الذي يسمى عند المختصين في علوم القرآن بالآيات المتشابهات[٤٤].

وإذا ما دُرِس النص القرآني دراسةً نصيةً، ووضعت الجملة المكررة في الاعتبار، سيتبيَّن أنّ ثمةَ فرقاً واضحاً في القصد والدلالة، وكذلك في العناصر الجمالية والبلاغية بين الجمل المكررة تكراراً كلياً، ولم يقع في أحد أجزائها تغير، وبين الجمل المكررة التي وقع في أحد أجزائها تغير، فلكل نوع من هذين النوعين قصد خاص به، ودلالة خاصة به، وعنصر جمالي خاص أيضاً.

٢- الجملة النصية وجملة النظام:

تعددت تعريفات الجملة في علم النص[٤٥]، ولعل أنسب تعريف للجملة النصية هو أنها سلسلة من المفردات النحوية المختارة، "تتسم بالتواصل مع جملة أخرى، حيث يحتويها نص ما، أو هي المنجزة فعلاً في مَقام، ولها مدلولها داخل السياق؛ نتيجة ملابسات لا يمكن حصرها، يترتب على هذه الملابسات الفهم والإفهام"[٤٦].

ويتضح من هذا التعريف عودة المصطلحات النصية المذكورة في تعريف التكرار السابق، وهي (المقام) و(السياق)، و(الفهم والإفهام) الدالّ بمفهومه على (القصد).

ولذلك هذا النوع من الجمل "لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالته من خلال الاتساق والانسجام"[٤٧].

أما جملة النظام، فهي الجملة المجرَّدة، المستغنية بدلالتها عن غيرها، والتي يتولد عنها جميع أشكال الجمل الممكنة، وهي تعطي معنى استقلالياً بعيداً عن السياق[٤٨].

ومن هنا، فلا بد لمفسر القرآن الكريم أن يعي أمر هذين النوعين من الجمل، فيميز بين الجمل النظامية التي تؤدي القصد المطلوب وحدها، وبين الجمل النصّية التي يحتاج تفسيرها إلى إدماجها في نظام الجمل؛ لتنكشف أسرار التأويل فيها، ومن ذلك الجمل القرآنية المكررة، التي تحتاج– في وجهة نظري– إلى المشاركة مع بقية الجمل، السابقة واللاحقة؛ ليتضح التأويل المناسب لها، والقصد المنشود فيها.

٣- القول بكُلِّية النص:

مما يلفت النظر في الدراسات النصية الحديثة القول بكُلِّية النص، وهو قول ذو أهمية بالغة في تحليل النصوص، ولا سيما النصوص الدينية المهمة، كالقرآن الكريم، وغير ذلك من النصوص الأدبية؛ لأن القول بكلية النص يجعل الدارس له– والراغب في تأويله– متوقفاً عن إبداء رأيه، وإمضاء حكمه، إلا بعد أن يستوفي دراسته كليّاً، ذلك أن المقصدية فيه لن تتحقق إلا بعد ذلك، ولن تكون المقصدية متحققة من الأساس حتى تستوفي جميع السياقات

والمقامات التي حواها النص، وذلك لكون النص "قولاً لغوياً مستديراً مكتملاً، يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي"(٤٩).

إنّ الكلام السابق يجرنا إلى قول فاينرش (Weinrich) بأن النص "وحدة كلية مترابطة الأجزاء"(٥٠)، وهو يبين مفهوم ذلك بقوله :" فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل"(٥١).

ومن هذا المنطلق يتبين أن الدراسة النصية الصائبة لأي نص، لا بد أن تكون (مستديرة– مكتملة)، وأن النص المدروس، لا بد أن يشكل (وحدة كلية– وفقاً لنظام سديد).

٤- المقاصد الدلالية للجملة المكررة:

تناول النحويون والبلاغيون قديماً مقاصد التكرار وفوائده في القرآن الكريم، وذكروا ما للتكرار من خصائص نحوية وصرفية وصوتية وبيانية ودلالية، وإذا ما جمعت تلك المقاصد، وأضيف إليها مقاصد الجملة المكررة، ودرست من ناحية نصية دلالية، فإنه يمكن القول إن هناك مقاصد يكثر ترددها في الجملة القرآنية المكررة، من مثل: التأكيد، والتأسيس، والتذكير، وزيادة التنبيه، والتعجب، والتعظيم والتهويل، والوعيد والتهديد، وتجديد العهد، وخشية التناسي، والتكرار لنفي الغفلة أو التهمة، والتكرار لتعدد المتعلق، واستنفاذ الطاقة الانفعالية، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أ- **التأكيد**: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٥٢)، وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾(٥٣)، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾(٥٤) قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) عن الآيات السابقة: "كل هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كُرِّرَ به اللفظ"(٥٥).

ب- **التأسيس:** ويقع في مقدمة اهتمام اللغويين في موضوع التكرار، إذ يجعلون التكرار اللفظي أبلغ من التكرار المعنوي؛ وذلك لأنه واقع في تكرار التأسيس، ومن ذلك قوله تعالى: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون)[٥٦]

فهنا جملة (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون) الثانية تأسيس للأولى؛ لكونها أبلغ في التعبير[٥٧]، حيث إنّ لفظ (ثُمّ) فيه تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وهذا دليل على أن الأمر وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه التغيير، ولا يقربه التبديل[٥٨].

وفي ذلك قال الزركشي (٧٩٤هـ): "واعلم أنّ التكرير أبلغ من التأكيد؛ لأنه واقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد، فإنّ التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوّز، فلهذا قال الزمخشري (٥٣٨هـ) في قوله تعالى: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون)[٥٩]: إنّ الثانية تأسيس، لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء، فقال: وفي (ثُمَّ) تنبيهٌ على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول"[٦٠].

وقد أشار الدكتور فضل حسن عباس إلى الآيتين السابقتين مؤكّداً أنّ التكرار فيهما للتأسيس، وأنه ليس من قبيل التأكيد، وإذا كان الأمر كذلك، فهو عنده ليس بتكرار، ويعلل ذلك بأنّ اللغويين يقررون أنه إذا أمكن حمل الكلام على التأسيس، كان ذلك لا شك أولى من التأكيد، ويرى أنّ الكلام هنا يمكن أن يُحمَل على التأسيس؛ لأنه الأوفق بالسياق، والألصق بالمعنى[٦١].

ت- **زيادة التنبيه:** ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَاأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)[٦٢] حيث تكرر النداء بلفظ (يا أبتِ) في هذه الآيات أربع مرات على لسان إبراهيم عليه السلام في نصح

أبيه وإرشاده في صورة إلحاح شديد، ووعظ متجدد، وفي ذلك زيادة في التنبيه، ودفعٌ لما قد يعتري المتلقي من شك وريب[٦٣].

وقد عدّ الزركشي زيادة التنبيه ثاني فوائد التكرار بعد فائدة التأكيد، إذ يقول: "الثاني زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ)[٦٤]، فإنه كرر فيه النداء لذلك"[٦٥].

ث- **التذكير**: وذلك "إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول، أعيد ثانية تطريةً له، وتجديداً لعهده"[٦٦]، ومن ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيم)[٦٧] وقوله: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيم)[٦٨] وقوله أيضاً: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِين)[٦٩]، فكرر في الآيتين الأوليين (إنّ ربك)، وكرر في الآية الأخيرة (رأيت) تجديداً لعهد الكلام لما طال وخشي تناسيه.

ج- **نفي الغفلة**: ومن ذلك تكرار الآية: (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُر)[٧٠] أربع مرات في سورة القمر، وذلك بعد الحديث عن كل أمة نالها عذاب مختلف عن عذاب الأخرى، فترتبط الآية المكررة بما سبقها من حديث؛ وذلك لنفي الغفلة وإبعادها[٧١].

وقد ذكر الأستاذ مصطفى الرافعي (١٣٥٦هـ) جملةً من فوائد التكرار في القرآن الكريم، "كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكره"[٧٢].

ثم زاد فوائد أخرى بعد ذلك في قوله عن التكرار: "وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم: للتهويل، والتوكيد، والتخويف، والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة"[٧٣].

ح- **التعظيم والتهويل:** وذلك كقوله تعالى: (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّة)[٧٤]، و(القارعةُ مَا الْقَارِعَة)[٧٥]، و(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)[٧٦]، و(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِين)[٧٧].

خ- **الوعيد والتهديد:** كقوله تعالى: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُون)[٧٨]، وذِكر (ثُمَّ) في المكرَّر دلالةٌ على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير بل هو مستمر دائماً[٧٩].

د- **التعجب:** كقوله تعالى (فَقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)[٨٠]، فأعيد تعجباً من تقديره، وإصابته الغرض، على حَدٍّ قاتله الله ما أشجعه[٨١].

ذ- **استنفاذ الطاقة الانفعالية:** ويصدق هذا الغرض على الآيات التي تكررت كثيراً في سورة واحدة، كقوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)[٨٢]، وكقوله: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[٨٣]، وقد ورد هذا الغرض في كلام العرب وأشعارهم، فمن ذلك قول المهلهل يرثي أخاه كليباً:

على أنْ ليسَ عَدلاً منْ كليبٍ إذا طُرِدَ اليتيمُ عن الجَزُورِ
على أنْ ليسَ عَدلاً منْ كليبٍ إذا ما ضِيمَ جيرانُ المُجيرِ
على أنْ ليسَ عَدلاً منْ كليبٍ إذا علنتْ نجيّات الأُمورِ
على أنْ ليسَ عَدلاً منْ كليبٍ غَداةَ تلاتلِ الأَمْرِ الكَبيرِ[٨٤]

فيلاحظ هنا "أنّ الشاعر اتخذ من تكرار صدر البيت في القصيدة وسيلة لاستنفاذ طاقته الانفعالية إزاء الحادث المفجع الذي فَقَدَ فيه أخاه كلياً، وكان المكرر في كل بيت يحمل دلالة اللاحق"(٨٥).

٥-دور السياق في نصية الجملة القرآنية المكررة:

السياق محور رئيس في تفسير النص، سواء كان سياقاً لغوياً يعتمد على العلاقات بين ألفاظه والأدوات المستعملة للربط بينها، وما يترتب على تلك العلائق من دلالات كلية أو جزئية، أو سياقاً غير لغوي يعتمد على مجموع العناصر غير اللغوية التي يكتسب النص من خلالها تمام معناه، كالموقف والمقام والإشارة والإيماء والظروف والعادات والأعراف والبيئة والملابسات المحيطة بالنص(٨٦).

وتلك الأهمية للسياق تنطبق على أي نص، طال ذلك النص أم قصر، بل لا يمكن تحليل النص تحليلاً صحيحاً من غير اعتبار للسياق الخاص به، "وعلى هذا، فإن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية– جملة مثلاً– تحليلاً كاملاً دون مراعاة للسياق، قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك كبير"(٨٧). وفي هذا يؤكد الدكتور محمد حماسة عبداللطيف أهمية السياق بالإضافة إلى العناصر النصية الأخرى حيث يقول: "لا يصبح النص نصّاً إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزاً معيناً، فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضفورة تؤلف سياقاً خاصّاً بالنص نفسه، ينبث في أبناء اللغة المعينة"(٨٨).

وقد أشار الباحثون في نحو النص حديثاً إلى تغير الدرس اللساني في نظرته إلى اللغة، وذلك للإحساس بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلي فيها، وإلى أنّ اجتزاء الجمل والنصوص، وفصلها عن سياقها يتنافى مع نحو النص، وإلى أنّ تلك الوظيفة الاجتماعية وذلك الدور التواصلي للغة يفسحان الطريق للنحو أن يتسع مفهومه، ليصبح مكوناً من مكونات نظرية شاملة، تفسر السلوك الإنساني، وهذا لا يتم إلا من خلال نص مرتبط بسياق تواصلي، وليس من خلال جملة(٨٩).

إضافة إلى ذلك، فقد ذكر الدكتور أحمد عفيفي كلاماً مهماً عن دور السياق في تحديد مكونات النص، حيث يقول: إنّ النص"كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف، الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، وهذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص، بل ويوجدها"[٩٠].

وبناءً على ما سبق، فإنّه لا يمكن تحليل الجمل المكررة في القرآن الكريم تحليلاً دقيقاً دون مراعاة السياق الذي وجدت فيه، ولذلك كان اهتمام المفسرين في أسباب النزول أمراً لا غنى عنه في تأويل النص القرآني، وقد أكد ابن قتيبة الاهتمام بالسبب أو المقام الذي وقع فيه التكرار، يقول: "ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أنزلت فيه: (قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُون)[٩١]؛ لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون؛ ليعبدوا ما يعبد، وأبدَؤُوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله– عز وجل– حَسْمَ أطماعهم، وإكذابَ ظنونهم، فأَبْدَأَ وأعاد في الجواب... فكأنّ المشركين قالوا له أسلِمْ ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك، فأنزل الله: (لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد)[٩٢]، يريد: إن لم تؤمنوا حتى أفعل ذلك، ثم غبروا مدة من المدد، وقالوا: تعبد آلهتنا يوماً أو شهراً أو حولاً، ونعبد إلهك يوماً أو شهراً أو حولاً، فأنزل الله: (وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد)[٩٣] على شريطة أن تؤمنوا به في وقت وتشركوا به في وقت"[٩٤].

ومن هنا يتبين أنّ "وظائف التكرار وآثاره تختلف ضرورة، وتتنوع بتنوع سياقات الاستعمال"[٩٥]، وهذا ما ينبغي أن يلاحظ قبل الحكم على الجملة المكررة، أو النص المكرر عند تفسير القرآن الكريم، ولذلك قال ابن الأثير: إنّه "ليس شيء في القرآن مكرر لا فائدة من تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم النظر فيه، وانظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتنكشف لك الفائدة منه"[٩٦].

وقد بيّن الكرماني (٥٠٥هـ) في كلامه عن المتشابهات في القرآن الكريم أهمية السياق في تغير بعض الألفاظ في الآيات المكررة، وما في ذلك من أثر في التأويل، يقول: "والعجب العجاب من أمر تكرار القرآن وما يتراءى خلاله من إعجازٍ آيتان، إحداهما من سورة الأنعام:

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ)[٩٧]، وقوله في سورة القلم: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ)[٩٨]، فأكثر ما يستعمل وزن (أفعَل) في لغة العرب مع الفعل الماضي، كقولهم: أعلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ، وأحسَنُ مَنْ قامَ وَقَعَدَ، وأفضَلُ مَنْ حَجَّ واعتَمَرَ. فلماذا استعمل مع الفعل المضارع في سورة الأنعام، ولم يستعمله مع الماضي كما في سورة القلم، وكما هو الغالب في لغة العرب. ولماذا الباء في آية (القلم)، وحذفت في آية الأنعام؟

أما استعمال (أفعَل) مع المضارع في الأنعام، فلأنّ سياق الكلام دائر حول المستقبل؛ لبيان أصل عام، وماضٍ إلى الأبد، في شأن الرأي العام، أو رأي الجماهير فيما يتصل بالعقيدة وشؤون الدين بوجه خاص، فالآية السابقة على آية الأنعام هي قوله تعالى: (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون)[٩٩]. بخلاف ما في سورة القلم، فإنّ الكلام فيها عن قوم ضلوا بالفعل، وهم الكافرون من قريش: (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُون بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُون إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ)[١٠٠]. يعني: ضل فقال عن الرسول: إنه مجنون، وعن القرآن: إنه سحر مبين. فلما جاء (أفعَل) مع المضارع في الأنعام انقطعت مظنّة الضلال إلى الله تعالى، كما هو جائز في المعنى إذا استعمل مع الماضي، فصار معنى الآية في الأنعام: إنّ الله أعلمُ بمن يضلون عن طريقه في المستقبل، فصار ورود (أفعَل) مع المضارع اتبعاً للسياق، وقطعاً لمعنى الإضافة المؤكد في استعمالها مع الماضي، كما هو الغالب في لغة العرب، فلما استعمله مع الماضي في سورة القلم، استعمله مع الباء، إذ لو لم تذكَر الباء، لصار المعنى: أنه تعالى أعلم الضالين عن سبيله، وتعالى اللهُ علوّاً كبيراً"[١٠١].

٦-القضية المحورية للجملة القرآنية المكررة:

تناول الدكتور أحمد عفيفي في كتابه (نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي) مسائل مهمة في التأويل النصي، تتمثل بالقضية المحورية للنص، وأثرها في الترابط النصي، الذي بدوره يؤدي عملاً تفسيرياً، والعلاقات التماسكية، والمقدرة التأويلية، وارتباط ذلك كله

بالتكرار الذي يصنع هو الآخر ترابطاً في النص؛ فيكون ترابط النص وانسجامه كائناً من جهات متعددة.

وفي ذلك يبيّن الدكتور عفيفي أنه لا بد من وجود قضية مركزية (محورية) يتقابل أمامها المبدع والمتلقي متواجهين أو غير متواجهين، ثم يذكر ما للمتلقي من دور مهم في تفسير النص، وكلما كان المتلقي مبدعاً في دراسة النص واكتشاف خفاياه، كان التفسير أفضل، يقول: "وكأنني بذلك أمام متلقٍّ نوعاً من الإبداع في اكتشاف تلك الروابط الخبيئة، وأن يربط بين مجموع القضايا، ليصبح أمامنا قضية مركزية، أليس المتلقي أو المحلل القادر على فعل ذلك مبدعاً أيضاً؟ من هنا يكون الترابط النصي، أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء النص، أو جمل النص، أو فقراته؛ لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً"(١٠٢).

وما يهمنا ههنا هو ذلك الدور التفسيري الذي يصنعه المتلقي (المفسِّر) الذي يمتلك المقدرة التأويلية بشكل من الإبداع، من خلال الأدوات النصية المحكمة، وذلك في نظرة شاملة للقضية المحورية التي يتناولها النص، أو النصوص المشتركة؛ ذلك لأن النص "لا بد أن يكون مكتملاً في دلالته، مكتفياً بذاته، بالإضافة إلى كونه قولاً لغويّاً مستديراً مكتملاً، يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي"(١٠٣).

وإكمالاً لما سبق، فإنّ "علم لغة النص– كما يقول كوزريو Coseriu– ليس في الحقيقة شيئاً غير المقدرة التأويلية، كما أنّ نظرية علم اللغة النصي ليست شيئاً غير نظرية علم التأويل– التفسير– وذلك باعتبار أنّ علة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأن الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل لما هو لغوي"(١٠٤).

ولذلك لا بد لنا اليوم من دعوة إلى تفسير نصي للقرآن الكريم، يفوق ذلك التفسير الذي لا يعنى بالقضية المحورية للنص، أو النظرة الشاملة المستديرة؛ لأن ما كان يحدث في معظم المناهج التراثية في تفسير القرآن الكريم كان– كما يقول الدكتور تمام حسان– "تناولاً للنص بالشرح، فلم يكن ينظر إلى مجمل النص والتماس فهمه بوصفه ذا وحدة عضوية تجعل بعضه يفسر بعضاً– عدا ما كان يحدث عند بعض المفسرين– وإنما كان الشراح يبنون شروحهم

على المفردات، فترى الواحد منهم يعرض للفظ المفرد ثم يغوص في الدلالة المفردة لهذا اللفظ، مع ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص، وما كان لهذا المنهج في شرح النصوص أن يؤدي إلى الفهم الكامل لدلالتها ومقاصدها"[١٠٥].

فإذا ما نظرنا إلى القضية المحورية في القرآن الكريم، وجدناها تصنع ترابطاً نصياً عميقاً بين الجمل المكررة فيه، فهناك قضية محورية عامة في القرآن بجملته، وهناك قضية محورية خاصة لكل سورة على حدة، وهناك قضية محورية أخص لآيات متتالية في داخل السورة، وكل ذلك داخل إطار القضية الأم، وإذا تأملنا عمل المفسرين وشرحهم للنص القرآني، فإننا نلاحظ "أنّ بعضهم أدرك ضرورة وجود هذه العلاقات التماسكية، وأنّ القرآن يفسر بعضُهُ بعضاً، وأنّ السنة تفصل ما في القرآن من إجمال"[١٠٦]، وهذا يدعونا إلى إعادة النظر في التطبيق التفسيري للتناص في القرآن الكريم، واكتشاف تلك العلاقات التماسكية في ضوء التناص؛ لأن التناص "هو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: (القرآن يفسر بعضه بعضاً)"[١٠٧].

٧- مسألة الذوق العربي في الجملة القرآنية المكررة:

لا يخفى أنّ للقرآن الكريم لذةً في أذن المتلقي، وأنّ مشركي مكة الذين حاربوا الإسلام منذ نشأته كانوا يتلذذون بسماع القرآن، حتى إنّ الوليد بن المغيرة "قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: (إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون)[١٠٨]، قال: أعد، فأعاد النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وقال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من

هذا، والله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته"[١٠٩].

والعجيب أنّ الوليد وغيره من مشركي مكة قد أنكروا مميزات القرآن، ولكن أثره في الذوق هو الذي جعل الوليد يعلن على الملأ مقالته السابقة، "فهل كان إحساس الوليد هذا نابعاً من عظمة التشريع أو من جودة التشبيه أو نضرة الاستعارة؟ لم يكن شيء من هذا هو مصدر إعجاب العرب ممثلاً بالوليد، بل هو الذوق الذي لا ينتشئ إلا من مراعاة الملابسات والكيفيات والاعتبارات.."[١١٠].

وقد أشار اللغويون حديثاً إلى تلك المتعة التي يشعر بها متداول النص؛ لأنّ النص إنما هو نسيج من الكلمات المنظومة، والمنسّقة، وأنّ النص– كما قال رولان بارثR. BARTRES- هو الكتابة، والكتابة علم متعة الكلام"[١١١]. وكذلك فإنّ هذه المتعة التي عند رولان بارث، قد ولدت النص في نفس وذات صاحبه، من أجل أن يلقاه الآخر بلذة ومتعة تساويها أو تفوقها لتحقيق فعل القراءة[١١٢].

وإذا ما رجعنا إلى مسألة الجملة المكررة في القرآن الكريم، فإننا نجد من يشير إلى ذلك التلذذ السماعي في مواضع التكرار، وفي ذلك يقول ابن قتيبة: "وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في (قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُون)[١١٣]، وفي سورة الرحمن بقوله: (فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)[١١٤]، فقد أعلمتك أنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أنّ من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأنّ افتتان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجَه عن شيء إلى شيء– أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد"[١١٥]. وبهذا يقرر ابن قتيبة أنّ ذلك التكرار يسهم في (الحُسْن) الفنّي للنص، ولا سيما في القرآن الكريم، والذي بدوره يؤدي إلى موافقة مذاهب العرب وأذواقهم.

وقد بيّن السكاكي (٦٢٦هـ) كيف يتحصل الإلف في النفس مع التكرار، وذلك في كلامه عن أحوال التشبيه من كونه قريباً أو غريباً، مقبولاً أو مردوداً، حيث قال: "**ومنها أنّ النفس**

لما تَعرِف أقبل منها لما لا تَعرِف؛ لمحبتها العلم طبعاً. ومنها أنّ تَجَدُّدَ صورةٍ عندها أحبُّ إليها وألذُّ عندها من مشاهدة مُعاد، وأنه من القبول بحيث يغني أن يستعان فيه بتلاوة أكره من مُعاد، ولكل جديد لذة، ولعمري إنّ التوفيق بين حكم الإلف وبين حكم التكرير أحوج شيء على المتأمل فليفعل؛ لأن الإلف مع الشيء لا يتحصل إلا بتكرره على النفس، ولو كان التكرار يورث الكراهة، لكان المألوف أكره شيء عند النفس، وامتنع إذ ذاك نزعها على مألوف، والوجدان يكذب ذلك"[١١٦].

وفي هذا الإطار يشير السكاكي إلى أنّ من يعيب التكرار الذي هو من مذاهب العرب وفنونهم، إنما هو دخيل على لغتهم، غير عارف بها، أو معاند مكابر، يقول: "وأما نحو: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[١١٧]، و(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)[١١٨]، فمذهوب به مذهب رديف يعاد في القصيدة مع كل بيت، أو مذهب ترجيع القصيدة يعاد بعينه مع عدة أبيات، أو ترجيع الأذكار، وعائب الرديف أو الترجيع. إما دَخيلٌ في صناعة تفنين الكلام، ما وَقَفَ بَعْدُ على لطائف أفانينه، وإما مُتَعَنِّتٌ ذو مكابرة"[١١٩].

وربما كانت هذه النظرة التي رآها السكاكي فيمن يعيب التكرار متأصلةً عند علماء العربية آنذاك، سواء ذكروها أم لم يذكروها، أمّا ذلك الذي يعيب التكرار، فيبدو أنه خلط ما بين التكرار الفني الذي يستخدم في النصوص الأدبية الرفيعة، والتكرار الآخر الذي يقع في لغة العامة اليومية، ويرد عليه بمقولة: "إنّ بعض القوانين السارية في اللغة غير الشعرية لا تجري في اللغة الشعرية"[١٢٠]، ذلك أنّه "إذا ما كان تكرار الوحدة الدلالية في اللغة اليومية لا يغيّر دلالة الرسالة، وإنما يخلّف أثراً سقيماً من قبيل الرَّكاكة وعدم المقبولية النحوية، (وهو على كل حال لا يحقق زيادة في معنى الملفوظ)، فإنّ الشأن فيه ليس كذلك في اللغة الشعرية. فالوحدات هنا غير متكررة، أو لِنَقُلْ بعبارة أخرى: إنّ الوحدة المتكررة ليست هي إيّاها ألبتّة بحيث يمكننا أن نزعم أنّ الوحدة إذ تتكرر لا تلبث أن تغدو غير ما هي، إنّ تكرار (أ أ) لا يعادل (أ)" [١٢١]، وتفسير ذلك أن ملفوظاً سردياً يمكن أن يعاد إنتاجه وتكراره عديد المرات

في النص الواحد، كأن يقال: جاء بيار مساء أمس، جاء بيار مساء أمس، جاء بيار مساء أمس، فيلاحظ "أنّ هذه المتواترات ليست من واحدة منها مماثلة للأخرى، فهي تختلف مادياً (من حيث الصوت والخط)، ومعنوياً؛ لمجرد ما يترتب عن التتابع وهيئة الحضور من تنويع يوزّعها إلى أول وتابع وأخير"[١٢٢].

ومن هنا يؤكد بعض المفسرين– كالزركشي والزمخشري– أنّ التكرار الواقع في القرآن الكريم إنما هو تكرار في اللفظ،لم يستتبع تكراراً للمعنى، وأنه لا تكرار على الحقيقة في كتاب الله تعالى[١٢٣].

٨-القول بعيِّ التكرار:

ذكر فريق من العلماء القول بعيِّ التكرار، وذلك للدفاع عن الكلام المكرر في القرآن الكريم، وخلاصة هذا القول أن التكرار ليس فنّاً سهلاً، ولا يجيده إلا من له حظ كبير في فنون اللغة، وهو عيٌّ صعبٌ على عموم الناس، ولذلك قال الجاحظ (٢٥٥هـ): "إعادة الحديث أشد من الصخر"[١٢٤]، وروى عن بعض خطباء العرب[١٢٥] قوله أنّ إعادة بعض الألفاظ، وترداد المعاني عيٌّ[١٢٦]. ويبدو أن هذا القول قد سبب مشكلات لغوية في الحكم على نصوص كثيرة؛ وذلك لأن فكرته تقوم على الدفاع عن النص القرآني مع إهمال للنصوص الأخرى، ولأنه يهدف إلى درس بلاغي لا نصّي، فلم تكن الفكرة أساساً والدراسات التي تلتها تهدف إلى دراسة لغوية نصّية تبين أثر ذلك التكرار في تماسك النص وانسجامه، وسبب ذلك أنّ "الفلسفة التي بنى عليها القدماء معتقدهم في بحث التكرار كانت ترتكز أساساً على فكرة أنّ التكرار عيٌّ، فقد جاءت آراهم في هذا القضية بصورة دفاعية عن النص القرآني، فرأينا من يمدح التكرار، ومن يمدح التكرار إذا كان في كتاب الله، ومن يذم التكرار عموماً، وينكر وجود التكرار في كتاب الله... وبهذا تتأكد فكرة أنّ البحث في ظاهرة التكرار في النصوص عموماً، وفي القرآن الكريم خصوصاً، كانت بهدف الدفاع عن بلاغة النص القرآني، وإثبات أنه نص مقدس، ولم يكن ثَمَّ اتجاه لدراسة التكرار في شقه اللغوي التحليلي"[١٢٧].

المبحث الثاني- منظومة الجمل المكررة في القرآن الكريم:

من المعلوم أنّ هناك جملاً تكررت في القرآن الكريم، فقد تتكرر الجملة أحياناً مرتين فقط في سورة واحدة، كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام في سورة يوسف: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)[١٢٨]، وذلك تعليقاً منه على ما فعله بنوه في موقفين؛ الأول مع يوسف، والثاني مع بنيامين، فيؤدي التكرار ههنا في الموقف الثاني إلى تذكر الموقف الأول، ففي الموقف الثاني أضرب يعقوب عليه السلام "عن حجة أبنائه التي قدّموها عن سبب عودة أخيهم بنيامين معهم، وهذا الإضراب من خلال أداة الوصل العكسي (بل) أدّى إلى ترابط هذه الآية مع الآيتين السابقتين من حيث توجيه الدلالة إلى التسويل، فيتذكّر السامع قصة يوسف مع الإخوة عند الجُبّ"[١٢٩]. وكقوله في سورة الكافرون: (وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد)[١٣٠]، فقد شكّلت هذه الجملة الآيتين الثالثة والخامسة من هذه السورة، فقد جاء النفي المتعلق بالمشركين ههنا بصيغة واحدة، مما يدل على تقرير النبوة وتوكيدها[١٣١].

ومن جهة أخرى، قد تتكرر الجملة مرتين أيضاً، ولكن في سورتين مختلفتين، كقوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّه لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد)[١٣٢] في سورتي آل عمران، والأنفال، وفي كلتا السورتين جاء موضع الجمل المكررة في خطاب المعذَّبين بنار جهنم؛ للتأكيد على عدل الله، وأنّ العذاب الذي سيحل بالمكذبين إنما هو بسبب ما فعلوه من تكذيب وكفر، وكقوله تعالى أيضاً: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً)[١٣٣] في سورتي النحل، والمؤمنون، وفي كلتا السورتين جاء موضع الجملة المكررة في سياق الحديث عن قدرة الله وعظم خلقه، وإنزاله المطر، وتسخيره الأنعام للناس، ومنه أيضاً: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)[١٣٤] في سورتي الإسراء، والفرقان تأكيداً لإرسال النبي عليه الصلاة والسلام ببشارة المؤمنين وإنذار المعاندين، ومنه قوله أيضاً: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِير)[١٣٥]، في سورتي الحج، ولقمان، في مقام من يخاصم في توحيد الله

بغير بيان معه لما يقول ولا برهان، ولا كتاب من الله أتاه ينير عن حجته، وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنّاً منه وحسباناً[١٣٦]، ومنه تكرار الآيتين المتتاليتين: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُون)[١٣٧] في سورتي الطور، والقلم، في سياق الرد على مكذّبي القرآن والبعث، ومنه أيضاً: (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم)[١٣٨] في سورتي الانفطار، والمطففين، تأكيداً لما يناله الأبرار من السعادة والنعيم، وكذلك قوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون)[١٣٩] في سورتي الحجر، والذاريات، وذلك في سياق الكلام عن أحوال المنعّمين في الجنة.

وقد تأتي الجمل المكررة في بدايات سور مختلفة، وفي نهاياتها أيضاً، فمن مجئيها في البدايات قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[١٤٠] في سورتي الحشر، والصف، وقوله: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[١٤١] في سورتي الجمعة، والتغابن، وذلك في مقام التنزيه الماضي تارةً والمستمر تارةً أخرى، ومن مجيئها في النهايات قوله: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيم)[١٤٢] في سورتي الواقعة، والحاقة، وذلك بعد الرد في كلتا السورتين على المكذبين، وتفنيد ادعاءاتهم، فقد اتفقت الآيتان في الألفاظ والمعاني والنظم، وفي الغرض والمقام[١٤٣].

أمّا من حيث حجم الجمل المكررة، فقد تأتي الجملة المكررة في القرآن الكريم بسيطة قصيرة، كقوله تعالى: (وَاللَّه عَزِيزٌ حَكِيم)[١٤٤]، وقد تأتي معقدة طويلة، كقوله: (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا)[١٤٥].

ومما يدعو إلى التأمل والبحث، تلك الجمل القرآنية التي تكررت أكثر من مرتين في القرآن الكريم، سواء في سورة واحدة، أو في سور مختلفة؛ لتشكل منظومةً نصيةً تحقق من خلالها أغراضاً دلالية وجمالية في النص القرآني، ويمكن ذكر نماذج من هذه الجمل المكررة، وتحليل تكرارها فيما يأتي:

أولاً- منظومة الجمل المكررة في سورة واحدة:

١- قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[١٤٦]:

تكررت ٣١ مرة في سورة واحدة.

تكررت هذه الآية- وهي جملة استفهامية- إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن، وزعت فيها على خمسة مواقف "كانت أولاها تقريراً لنعم الدنيا، وثانيها لنعم الدين، التي سبقت بنعمة التسوية بين الخلق، فنعم الجنتين الأوليين ثم الأخريين، وكانت الجملة المكررة تختلف في كل مرة باختلاف المكرر"[١٤٧].

وفي ذلك قال ابن قتيبة: "وأمّا تكرار (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، فإنّه عدَّد في هذه السورة نعماءه، وأذكرَ عباده آلاءه، ونبههم على قدرته، ولطفه بخلقه، ثم أتبع كل خَلَّةٍ وَصَفَها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، لِيُفَهِّمَهم النِّعَمَ، وَيُقَرِّرَهم بها"[١٤٨].

ومن جهة أخرى، فإنّ ثمانية من هذه الآيات المكررة ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، وهو عدد أبواب الجنة[١٤٩]، ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم[١٥٠].

وقد فصَّل ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) ذلك في قوله: "وكررت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، ذكرت ثمانية منها عقب آيات فيها عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها، على عدد أبوب جهنم، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها، على عدد أبوب الجنة، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها، فتحت له أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم"[١٥١].

وقال الزركشي: "وقد تُكُلِّفَ لتوجيه العدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررةً، قال الكرماني[١٥٢]: جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيفاً وثلاثين مرة؛ لأنّ ست عشرة راجعة إلى الجنان؛ لأنّ لها ثمانية أبواب، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنقم، فأعظم النقم جهنم، ولها سبعة أبواب، وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب، وسبعة عقب كل نعمة

ذكرها للثقلين، وقال غيره: نبّه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة أمهات النعم، وأفرد سبعاً منها للتخويف، وإنذاراً على عدة أبواب المخوَّف منه، وفصل بين الأول والسبع الثواني بواحدة، سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء، حيث اتصلت بقوله: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[١٥٣]، فكانت خمس عشرة أتبعت بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها، ثم بثمانية أخر في وصف الجنتين اللتين من دون الأوليين؛ لذلك أيضا، فاستكملت إحدى وثلاثين"[١٥٤].

وقال القلقشندي (٨٢١هـ): "وفي قوله (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، حيث عدد فيها نعمه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرها وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة، تنبيهاً على موضع ما أسداه إليهم فيها"[١٥٥].

ومما يؤكد ما سبق من أنّ المراد هو التذكير بالنعم مجيء جواب الاستفهام في السيرة النبوية على لسان الجن، وإقرار النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "لما قرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام سورةَ الرحمن على أصحابه حتى فرغ، قال: ما لي أراكم سكوتاً، لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردّاً، ما قرأتُ عليهم مِنْ مَرَّةٍ: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، إلا قالوا: وَلا بشيءٍ من نعمتِك رَبَّنا نكذبُ، فَلَكَ الحمدُ"[١٥٦].

ويبدو أنّ ثمة علاقة بين النِّعَم التي ذكرت في هذه السورة والعاقبة التي تكون بشُكْرِ تلك النعمة أو كُفْرِها، "إنّ هذه الآية الكريمة جاءت لتقابل بين الوعد والوعيد وعاقبتهما توازياً مع موضوع النِّعَم التي أسبغها الله على الإنسان، بدءاً بنزول القرآن، ثم العلم، ثم تسخير كل الكائنات للإنسان، فجمالية هذه الآية أنها تابعة لأغلب آيات السورة، مع مفارقة الدلالتين المذكورتين، وهذا يعد سبباً لظهور هذا التكرار"[١٥٧].

وفي سياق التعليل السابق قال الزركشي: "فإن قيل: فإذا كان المعنى في تكريرها عد النعم واقتضاء الشكر عليها فما معنى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ)[١٥٨]، وأي نعمة هنا وإنما هو وعيد، قيل: إنّ نعم الله فيما أنذر به وحذر من

عقوباته على معاصيه؛ ليحذروها فيرتدعوا عنها نظير أنعُمِه على ما وعده وبشر من ثوابه على طاعته؛ ليرغبوا فيها ويحرصوا عليها، وإنما تتحقق معرفة الشيء بأن تعتبره بضده، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما، فإنهما متقاربان في موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها، وعليه قول بعض حكماء الشعراء:

وَالحَادِثاتُ وَإنْ أَصابَكَ بُؤْسُها فَهُوَ الذّي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُها[١٥٩]

وإنما ذكرنا هذا لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ولو كان عائدا لشيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة"[١٦٠].

وعلى نحو ما سبق قال علاء الدين الخازن (٧٤١هـ): "وكرر هذه الآية في أحد وثلاثين موضعاً تقريراً للنعمة، وتأكيداً في التذكير بها، ثم عدد على الخلق آلاءه، وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها؛ ليفهمهم النعم، ويقررهم بها، كقول الرجل لمن أحسن إليه، وتابع إليه بالأيادي، وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن حاملاً فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب، حسنٌ تقريراً؛ وذلك لأن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان، وتعليمه البيان، وخلق الشمس والقمر، والسماء والأرض، إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه، وخاطب الجن والإنس، فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة؛ لأنها كلها منعم بها عليكم"[١٦١].

ومن هنا يتكوَّن تتابعٌ منطقيٌّ في آيات السورة، ذلك التتابع المنطقي يحمل جملاً مكررةً، منطقية أيضاً، تبعاً للسياق الذي وقعت فيه، وهو الذي يؤدي إلى وجود تناسق تام وإيقاع مميز يتوافقان مع ذلك السياق القائم وتلك الجمل المكررة. وفي هذا يقول الدكتور عمر السلامي: "إنّ التناسق القائم بين معاني السورة من أولها إلى آخرها، يلتزم فيها التكرار بالتتابع المنطقي، ويخضع لنغمة السياق، ثم ينفرد بالإيقاع عند تلاقي بعضها ببعض، لتلج نغمته إلى النفس والعقل"[١٦٢].

هذا على حد قول من يعدّ الآيات المكررة قد جاءت في سياقات مختلفة، أمّا من يرى أنّ المقام واحد، فلا يجد غير غرض التأكيد في تكرارها، وقد يضيف إليه التقرير، وفي ذلك يقول الدكتور سعد عبد العظيم محمد: "ومن الواضح أنّ قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) هو التكرار بعينه؛ لأنّ الألفاظ واحدة، والمقام واحد، وهو ذكر نِعَم الله تعالى على الجن والإنس، والغرض واحد، وهو التقرير والتأكيد؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ، فكل آية أريد بها ما أريد بالأخرى، وهذا يلزم التأكيد، فلو كان المقصود ما قالوه، لقال الله عز وجل: أفبهذ النعمة تكذبان، أما وقد قال: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، فدلّ ذلك أنّ المراد إقرار العباد بالنعم، والتأكيد على ضرورة القيام بحقّها، وهو شكرها، والإيمان بمن أنعم بها عليهم، وهو الله عز وجل"[١٦٣].

وعطفاً على ما سبق، فإنّ التعليلات التي ذكرت في تكرار هذه الآية كانت ذات اتجاهين؛ اتجاه دلالي، وآخر شكلي، وقد أوردت الدكتورة شهرزاد بن يونس مجموعةً من هذه التعليلات من خلال دراستها الدلالية للتكرار الصوتي في سورة الرحمن، فتذكر أنّ تعليلات المحدثين تأتي لتبيان الوظيفة الجمالية لتكرار هذه الآية الكريمة، وهي تعليلات غير بعيدة عن تعليلات القدماء التي تشير بأنّ الكلام إذا كُرِّرَ تَقَرَّر، وهو الذي تسمّيه ثنائيةَ (التقرير والتوبيخ)[١٦٤]، وتُبَيِّن أيضاً ما للمستويين الدلالي والشكلي من أهمية في تعليل ذلك التكرار، حيث إنّ التعليل على المستوى الدلالي– كما سبق– هو تقرير النعمة والتأكيد عليها، والتذكير بها، "أمّا على مستوى الشكل، فقد جاء هذا التكرار لبناء جرس موحَّد في كل السورة"[١٦٥].

ومن التعليلات التي ذكرت في تكرار هذه الآية القول بالتّعداد، فقد عَدّ ابن عاشور قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[١٦٦] تفريعاً على قوله: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)[١٦٧]؛ ذلك "لأن ربوبيته تقتضي الاعتراف له بنعمة الإيجاد والإمداد، وتحصل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير أيضاً"[١٦٨].

وقد عَدّ الزركشي فائدة تعدد المتعلق سابع فوائد التكرار في القرآن الكريم، وجعل هذه الآية شاهداً على ذلك، يقول: "السابع لتعدد المتعلق، كما في قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، فإنها وإن تعددت، فكل واحد منها متعلق بما قبله، وإنّ الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن، وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلاً من فصول النِّعَم، طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه، وهي أنواع مختلفة وصور شتى. فإن قيل: فإذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك بإطناب بل هي ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر، قلت: إن قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر"[١٦٩].

وقد جعلت الدكتورة شهرزاد بن يونس هذه التعليل الأخير أهم تعليل للتكرار في هذه الآية، تقول: "ولعلّ أهم تعليل للتكرار لقوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، الذي فسر بتعدد المتعلق، فقد ربط بجوانب دلالية أكثر من ارتباطه بجوانب شكلية"[١٧٠].

وتجدر الإشارة إلى أنّ تكرار هذه الآية في سورة الرحمن قد رفع بوضوح من درجة الإعلامية، فجعل المتلقي أكثر تفاعلاً مع السورة، بل إنّ المستمع إلى القرآن يجد في سورة الرحمن لذة كبيرة، فلا يمل من الاستماع إليها، على الرغم من وجود هذا الكم من الجمل المكررة، مما يدل على أنّ التكرار فيها كان تكراراً فنيّاً راقياً، أدى دوره الإعلامي في جودة عالية، يقول الدكتور حسن عبدالمقصود: "أسهم التكرار بصفة عامة، ووالصوتي بصفة خاصة في إكساب السورة الكريمة أداءً موسيقيّاً صاخباً، أدى بدوره إلى جذب النفس لسماعها وتلاوتها، ومن ثم تدبر معانيها.. قامَ التكرار برفع درجة الإعلامية أو خفضها بصورة جعلت المتلقي يتفاعل مع آيات السورة الكريمة"[١٧١]. ولذلك فإنّ ما جاء في الأثر مما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: "لكلِّ شيء عَروس، وعَروس القرآن سورة الرحمن"[١٧٢]، محسوسٌ في ذائقة السامع؛ لأن الظاهر "أنّ معنى (لكلِّ شيءٍ عَروس)، أي لكلِّ جنسٍ أو نوع واحد من جنسه يزينه، تقول العرب: (عَرائِس الإبل) لِكِرامها[١٧٣]، فإنّ

العَروس تكون مُكَرَّمةً مَرْعِيَّة، وَوَصْفُ سورة الرحمن بالعَروس تشبيهُ ما تحتوي عليه من تكرار (فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)، بما يكثر على العَروس من الحلي في كل ما تلبسه"(١٧٤).

٢- قوله تعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)(١٧٥):

تكررت عشر مرات في سورة واحدة.

تكررت هذه الآية- وهي جملة استئنافية- عشر مرات في سورة المرسلات، وقد تكون هذه الجملة كما يذكر معربو القرآن- هي جواب (إذا) في قوله تعالى: (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت)، وقد يكون الجواب محذوفاً، تقديره: وَقَعَ الفَصْلُ(١٧٦).

وقد جعل الزركشي هذا النوع من الجمل المكررة من باب تعدد المتعلق، فإنها وإن تعددت، فكل واحد منها متعلق بما قبله، كما هو الحال في تكرار الجملة في سورة الرحمن، يقول: "ومن هذا النوع قوله تعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين) في سورة المراسلات عشر مرات؛ لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويلٌ للمكذبينَ بهذه القصة، وكلُّ قصة مخالفةٌ لصحابتها، فأثبت الويلَ لمن كَذَّب بها"(١٧٧).

وعلى نحو ما سبق قال الخطيب القزويني (٩٣٧هـ): "وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله: (فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)؛ لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول، ومعلوم أنّ الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى... ونحوه قوله: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين) بهذه القصة"(١٧٨).

أمّا القلقشندي (٨٢١هـ)، فهو يجعل تلك الجملة المكررة في سورة المرسلات من قبيل التأكيد، يقول: "وكذلك كرر في سورة المرسلات (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين) تأكيداً لأمر القيامة المذكورة فيها"(١٧٩).

أمّا عن سبب عدد هذه الآيات المكررة في المرسلات، فقد ذكر الزركشي سبب عدة العشر، كما ذكر في عدة تكرار سورة الرحمن الإحدى والثلاثين، فقال: "ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها، وجعل للكفار في مقابلة كل مِثْلٍ من الثواب (ويل)"[١٨٠].

وإذا ما جئنا لتحليل الآيات المكررة في سورة المرسلات تحليلاً نصّياً، فإننا نجد الآية المكررة الأولى قد جاءت بعد ثلاثة سياقات؛ الأول سياق القسم وجوابه في قوله: (وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِع)[١٨١]، والثاني سياق الظرفية الزمانية، متمثلة بما سيقع في يوم القيامة، وذلك في قوله: (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَت وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَت وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَت لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَت لِيَوْمِ الْفَصْل)[١٨٢]، والثالث سياق الاستفهام، وذلك في قوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْل)[١٨٣]، فكأنّ هذه السياقات الثلاثة تمهيد لذلك التهديد الشديد بالويل الذي سينال المكذبين، وكأنّ كل كلمة من الكلمات الثلاث في هذه الجملة التي تكررت في السورة تقابل سياقاً من السياقات السابقة، فـ(ويلٌ) يقابل سياق القسم الذي كان جوابه ينبئ بوقوع ما يوعد به المكذبون، وما يوعدون به هو الويل، و(يومئذٍ) يقابل سياق الظرفية الزمانية، و(للمكذبين) يقابل سياق الاستفهام الذي يخاطب العقل، وينبه السامع إلى ضرورة التصديق بذلك اليوم؛ فلا يكون ممن يكذِّب به، فيحل به الويل في ذلك اليوم العصيب.

وقد جاءت الآية الثانية من الآيات المكررات "عقب التنبيه والإشارة لهذا التقرير التاريخي عن شؤون الأمم السابقة: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِين ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِين وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٨٤]، أمّا الآية الثالثة، فقد ذكرت بعد هذا التقرير الرائع، والالتزام القاطع لهذا الإنسان بالحجة، وهي تحدِّثه عن خلقه، بل عن المراحل الأولى من هذا الخلق، وما حفّه الله به من عناية ورعاية ما كان ليوجد لولاهما، سواء كان ذلك من حيث الماء أم القرار: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِين فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِين إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُوم فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ

الْقَادِرُون وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٨٥]، أمّا الآية الرابعة، فقد ذكرت بعد أن مَنَّ الله على هذا الإنسان، فهيَّأ له في الأرض؛ لتكون صالحة للحياة... (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا وَيْلٌ يوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٨٦]، وبعد هذه الإشارات التاريخية والنفسية والكونية، التي لا يسوغ لأحد أن ينكرها... رجعت الآيات الكريمة تذكرنا بالغاية؛ تنبِّه المكذبين إلى عاقبة أمرهم الوخيمة وما سيحيق بهم، فتجيء الآية الخامسة بعد هذا المشهد المروِّع...: (انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلاَثِ شُعَب لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللَّهَب إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْر كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْر وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٨٧]، أمّا الآية السادسة، فإنها تأتي بعد بيان ما يلقاه أولئك المكذبون من حرج، وما يشعرون به من ضيق، حيث يختم على أفواههم، فلا يستطيعون النطق، ويسلبون القدرة على الاعتذار عن قبيح ما فعلوه، وبخاصة عن هذا التكذيب الذي كذّبوه"[١٨٨].

وههنا قال عز وجل: (هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُون وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُون وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٨٩]، ثم جاءت الآية السابعة متممةً الحديث عن يوم الفصل، ومتحديةً أصحاب الكيد المتين في الدنيا: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِين فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٩٠]، أمّا الثامنة، فقد جاءت بعد ما أعدّ الله للمتقين من النعيم: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلاَلٍ وَعُيُون وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُون كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنين وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٩١]، أمّا التاسعة والعاشرة، فتأتيان تبكيتاً للمجرمين مع توبيخ شديد على تكذيب الرسل والامتناع عن الاستجابة: (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُون وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُون وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين)[١٩٢]، وبناءً على التحليل السابق، يتبين أنّ لكل آية موطنها الذي يختلف جغرافياً وتاريخياً عن موطن الآية الأخرى[١٩٣].

٣- قوله تعالى: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين)[١٩٤]، وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم)[١٩٥].

هذه مجموعتان من الآيات المكررة، تكررت الأولى منها خمس مرات، والثانية ثماني مرات في سورة واحدة.

فهنا منظومتان مكررتان؛ جاء في الأولى أربع جمل استئنافية، وفي الثانية ثلاث جمل استئنافية أيضاً، وقد تكررت المنظومة الأولى خمس مرات، والثانية ثماني مرات في سورة واحدة، وهي سورة الشعراء.

والملاحظ أنّ المنظومة المكررة الأولى تكررت في بداية قصص بعض الأنبياء الذين ذكروا في هذه السورة، وهم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام، أمّا المنظومة الثانية، فقد تكررت في نهاية قصص جميع الأنبياء الذين ذكروا في السورة، بزيادة موسى وإبراهيم عليهما السلام، مع إضافة تكرارها قبل القصص عند بداية السورة، في خطاب النبي عليه الصلاة والسلام عن المعرضين من الكفار.

هذا التكرار المنتظم، مع اختلاف العدة والمواضع، يدعو إلى التساؤل النصي الآتي: لم تكررت منظومة النهاية في جميع القصص، ولم تتكرر منظومة البداية في أول قصتين؟

يبدو أنّ سبباً ما يتعلق بالمقام الذي خاطب به الرسل أقوامهم، يمنع من مجيء المنظومة الأولى في بداية قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام، ويوجدها عند بقية الأنبياء، ذلك أنّ هذه المنظومة جاءت على لسان الأنبياء الذين قالوها أنفسهم، ولم يقلها موسى ولا إبراهيم في قصتيهما؛ لأنّ المقام لم يكن يسمح بذلك، حيث إنّ موسى عليه السلام أرسل في بداية القصة إلى فرعون، وفرعون ليس من قوم موسى، فلا يجدر أن يخاطبه بما يخاطِب به الأنبياء أقوامهم، والأهم من ذلك أنّ فرعون قد ادّعى الألوهية، (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي)[١٩٦]، وأضلَّ قومه بهذا الادعاء: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا

هَدَى)[١٩٧]، واستخف عقولهم، واستغلّ حبهم للدنيا: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِين)[١٩٨]، وأنّه هدّد موسى عليه السلام بالسجن إنْ عَبَدَ غيرَه، (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين)[١٩٩]، ثم إنّه كان جبّاراً في الأرض يملك ما يملك فيها، (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون)[٢٠٠]، إضافةً إلى أنّ موسى عليه السلام قد قتلَ نفساً من قوم فرعون خطأً؛ فهو خائف من تنفيذ حكمه عليه: (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون)[٢٠١]. وعلى هذا لا يصلح أن يأتي موسى فرعونَ بقول يتعلق بالتقوى، وأنّه لا يريد منه أجراً نظير دعوته، بل إنّ الأمر في بدايته كان متعلقاً بإثبات كذب ذلك الطاغية، وتفنيد ادّعائه الباطل، وإنباه الناس إلى ضلاله، وتحرير بني إسرائيل من قبضته، وتبرئة نفسه من القتل المتعمّد، ولذلك أرسل الله سبحانه موسى بتسع معجزات إلى فرعون: (فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِين)[٢٠٢]. أمّا إبراهيم عليه السلام، فلم يكن ليخاطب قومه بذلك الخطاب؛ لسببين: الأول خاصّ بشخصيته، فهو حليمٌ أوّاه، امتدحه اللهُ عز وجل في القرآن بصفات خُلُقيّة متفردة: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيم)[٢٠٣]، وفي موضع آخر: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيب)[٢٠٤]، ولم يثنِ هذا الثناء على نبي غيره، وإنّ له أسلوباً خاصّاً في الحوار وإقامة الحجة، يختلف عن بقية الأنبياء؛ كما فعل عند تحطيم الأصنام في صباه: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُون)[٢٠٥]. والسبب الثاني رغبته في إيمان أبيه الكافر، (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)[٢٠٦]. فيتطلب ذلك وضعاً مختلفاً في الدعوة والإقناع. وتجدر الإشارة إلى أنّ كلا النبيَّينِ موسى وإبراهيم عليهما السلام قد كان جزء من خطابهما لشخص معيّن، موسى لفرعون، وإبراهيم لأبيه، وأنّ كليهما محكومٌ عليه بالقتل من قبلُ بفعلة فَعَلها، موسى بقتله القبطيَّ، وإبراهيم بتحطيمه الأصنام، ولم يكن ذلك لبقية الأنبياء، فلا يستقيم أن تكون منظومة البداية واحدة للجميع. والذي يؤكد اختلاف المقام لهذين النبيين مع خصومهما عن

بقية الأنبياء أنّ منظومة الآيات المكررة لقصص الأنبياء في السور الأخرى لا تشملهما أيضاً كما سيأتي.

وإذا ما تأملنا النظام التركيبي في منظومة البداية، وجدناها تبدأ بمؤكّد لفظي، وهو الحرف الناسخ (إنّ)، وكذلك تقديم المتعلق (لكم) على خبر الحرف الناسخ؛ ليدل على أنّ الإنذار إنما هو لهم، لا لغيرهم، فلينتبهوا له؛ وقد أكّد بهذين المؤكدين؛ "لأن المقام مقام تكذيب وإنكار، فقد كذَّب كلُّ قوم رسولَهم، فأكد الخبر بأكثر من مؤكِّد دحضاً لإنكارهم، وتثبيتاً للرسل، وقد قدم الجار والمجرور (لكم) على متعلقه (رسول)؛ لبيان أنّ الأمر يعني قومه دون غيرهم"(٢٠٧).

أمّا منظومة النهاية، فقد جاءت في نهاية كلّ قصة دون استثناء؛ لأنّ لم تأتِ على لسان الأنبياء، إنما جاءت تعليقاً من الله تعالى بعد هلاك الأقوام بكفرهم؛ ليتذكر من يتذكر، ويعتبر من له قلب وعقل، وأنّ الله هو العزيز الحكيم في كل زمان ومكان، فلا تختص هاتان الصفتان بمقام دون آخر، فشمل ذلك قصة كل نبي مع قومه في أي مقام كان.

فجاء التأكيد اللفظي بمؤكدات أكثر، حيث أتت (إنّ) مع (اللام)، إضافةً إلى تقدم المتعلق (في ذلك) على اسم الحرف الناسخ في الجملة الأولى، وفيه إحالة إلى كل ما سبق أحداث كل قصة على حدة، ومن عاقبة هؤلاء المكذبين، ومن قدرة الله عليهم، أي: إنّ في قصتهم العجيبة، وعاقبتهم الوخيمة، وقدرة الله عليهم لَعبرةً لمن يعتبر.

ومن هنا استدلال نصّي على أنّ المراد من منظومة النهاية– نظراً لما في التركيب من مؤكّدات– هو التأكيد على سوء المصير الذي ينتظر المكذبين، مهما بلغوا من القوة، ونجاة المؤمنين، وإن بدَوا ضعفاء، وقدرة الله على إنفاذ ذلك.

وعلى صعيد آخر، جعل الزركشي هذا النوع من باب تعدد المتعلق، كما هو الحال عنده في الجمل المكررة في سورة الرحمن، وَبَيَّنَ أنّ الغرض من هذا التكرار هو الوعظ، وأنّ العزة المذكورة كانت في مقابل من كَذَّب ولم يؤمن، وأنّ الرحمة كانت في مقابل من صَدَّق وآمن، يقول: "ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم) في ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة، وأما قوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً)، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام، والعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها، وأما مناسبة قوله: (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)؛ فإنه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر، فدلَّ بالمفهوم على إيمان الأقل، فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن، وهما مُرَتَّبَتانِ كترتيب الفريقين"[٢٠٨].

٤- قوله تعالى: (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر)[٢٠٩]، وقوله: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِر)[٢١٠].

تكررت كل آية من هاتين الآيتين أربع مرات في سورة واحدة. كما تفردت جملة (فَهَلْ مِن مُّدَّكِر)- وهي الجملة الثانية في الآية الثانية- بتكرارها ست مرات في السورة نفسها[٢١١].

الآيتان السابقتان تشكلان منظومة من جمل مكررة في سورة واحدة، وهي سورة القمر، فالآية الأولى عبارة عن جملة استفهامية، والثانية عبارة عن جملتين؛ إحداهما استئنافية، والأخرى استفهامية، وكل هذه الجمل تتكرر في نهاية القصص التي ذكرت في السورة.

وكما هو الحال في منظومة الجمل المكررة لقصص الأنبياء في القرآن الكريم، ترتبط كل آية مكررة بما سبقها من قصة، وتؤدي دوراً إعلامياً في إنباه الغافلين، وتبشير المؤمنين، وقد عَدَّ الزركشي هذا التكرار من باب تعدد المتعلق الذي ذُكِر سالفاً[٢١٢]، وبيَّن البلاغيون أنّ الغرض منه ههنا التذكير ونفي الغفلة، كما هو الحال في منظومة الجمل المكررة في القصص وغيرها في القرآن، وفي ذلك يقول الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله (فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)؟ قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأوّلين ادكاراً واتعاظاً، وأن يستأفنوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: (فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ) عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن، وقوله : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ) عند كل آية أوردها في سورة

والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها؛ لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"[٢١٣].

من ذلك تكرار الآية: (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر)[٢١٤] أربع مرات في سورة القمر، وذلك بعد الحديث عن كل أمة نالها عذاب مختلف عن عذاب الأخرى، فترتبط الآية المكررة بما سبقها من حديث؛ وذلك لنفي الغفلة وإبعادها[٢١٥].

من ناحية أخرى، يلاحظ في هذه الجمل المكررة أنها ذات ملمح أسلوبي منفرد، وذلك لتكرار الاستفهام الإنكاري فيها، فهو لا يتطلب جواباً، إنما جاء للتهويل والاتعاظ، كما أنّ مجيء الآيتين المكررتين على مدار أربع قصص متتالية يشكل تماثلاً دلالياً يلمح في الاستفهام المتكرر بدلالته على الوعد والوعيد، والتهويل والتعظيم، فهي مجموعة أسئلة؛ لإيقاظ القلوب إلى هول العذاب، وصدق النذير، وفيها تهويل وتعجيب[٢١٦].

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الجرس، والإيقاع، وروي الفاصلة القرآنية في هذه السورة، كل ذلك جاء مختلفاً عنه في منظومات الآيات المكررة المماثلة في القرآن الكريم، فقد انتهت الفواصل في سورة القمر بحرف الراء المجهور الواضح، بإيقاع صوتي سريع خاطف، قال سيبويه: "الراء إذا تكلمت بها خَرَجَت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحاً"[٢١٧].

كما امتازت هذه الآيات التي في سورة القمر بالإيجاز والسرعة، وكأنها ملخص سريع لشيء من قصص الأنبياء التي سبق ذكرها في السور المتقدمة، والذي يعضّد هذا القول أنّ القصص لم تذكر بعد سورة القمر مجتمعة في منظومة متتالية إلى نهاية المصحف، فكأنّ المراد هو التنبيه الأخير، والتذكير النهائي قبل انقضاء أخبار الرسل، بما فيها من عظات وعبر، فلم يتعرض القرآن لتلك القصص مستوفاة على المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب[٢١٨].

ويبدو أنّ هذا التلخيص قد أدى دوراً مهماً في التماسك النصي للقرآن الكريم، ولا سيما أنّ الخطاب الذي جاء في هذه السورة كان خاصّاً بالمشركين، ثم جاء الخطاب في السورة

التي بعدها، وهي سورة الرحمن عامّاً لبني آدم، مع اتفاق السورتين بكثرة الجمل الاستفهامية المكررة، فتكرر فيهما التقرير والتنبيه[٢١٩].

كما أن المؤكّدات التي جاءت في الجمل المكررة في سورة القمر كانت مناسبة للمقام، "والمتأمّل في نظم الآية الأخيرة في كل قصة، يجد أنها تبدأ بقوله: (وَلَقَدْ)، أي بواو القسم، وكأنّ المعنى: واللهِ لَقد يسَّرنا القرآنَ للذكر، فقد أكّد الخبر بالقسَم و(اللام) و(قد)، أي بأكثر من مؤكِّد؛ لأنّ المقامَ مقامُ تكذيب، فقد كذَّب المشركون والكفار رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فيما أخبرهم به من أمر الساعة، وأنكروا بعضَ علاماتها، كانشقاق القمر"[٢٢٠].

ومما يدعو إلى التأمّل أيضاً في التعبير بالاستفهام في الجملة المكررة الأخيرة: (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) أنّ الاستفهام هنا كان مقصوداً "دون قوله (فتذكَّروا)، أو (فاذكُرُوا) بياناً لمدى تلطُّف الله تبارك وتعالى بقوم الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد جعل الأمر يلقى إليهم من خلال الاستفهام الذي يفيد العرض والتحضيض"[٢٢١].

٥- قوله تعالى: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)[٢٢٢].

تكررت هذه الجملة ثلاث مرات في سورة واحدة، وهي سورة المؤمنون، وكانت كل جملة من الجمل الثلاث المكررة جواباً لسؤال معيّن، وهذه الأسئلة جاءت على النحو الآتي:

السؤال الأول: (قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون)[٢٢٣].

السؤال الثاني: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم)[٢٢٤].

السؤال الثالث: (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون)[٢٢٥].

وقد جاء جواب السؤال الأول: جواباً مطابقاً لفظاً ومعنىً؛ "لأنه قال في السؤال: قل لِمَنْ؟ فقال في الجواب: لله. وأما الثاني والثالث: فالمطابقة فيهما في المعنى؛ لأن القائل إذا قال لك: مَنْ مالِكُ هذا الغلامِ؟ فإنّ لك أن تقول: لِزيد، فيكون مطابقاً للمعنى"[٢٢٦].

وقال الفراء (٢٠٧هـ): "وأهل البصرة يقرأون الأخريين (اللهُ)، (اللهُ)[٢٢٧]، وهو في العربية أبْيَنُ؛ لأنه مردود مرفوع، ألا ترى أنّ قوله: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ) مرفوعٌ لا خفض فيه،

فجرى جوابه على مبتدأ به، وكذلك هي في قراءة عبدالله: (للهِ)، (للهِ). والعلة في إدخال اللام في الأخريين في قول أبيّ وأصحابه أنك لو قلت لرجل: مَنْ مَولاكَ؟ فقال: أنا لفلان، كفاك من أن يقول: مولاي فلان. فلما كان المعنيان واحداً أجري ذلك في كلامهم"[٢٢٨].

من الكلام السابق يلاحظ جواز وجهين في اللغة للجوابين الثاني والثالث: وجه بإثبات اللام، وآخر بإلغائها، وهذا يدعو إلى التساؤل الآتي: لِمَ جاء الجواب باللام في الجوابين الثاني والثالث؟ ولمَ لمْ يكتَفَ بوجه إلغاء اللام، وهو– على حدّ قول الفراء– في العربية أبْيَنُ؟

يبدو أنّ الأمر متعلق بتفضيل التكرار الكلي على التكرار الجزئي، فتكرار جملة: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) تعطي فائدة نصية مطلوبة، يتمثل في ذلك التوازي الصوتي، والإيقاع المنتظم، وتؤدي دورها بوضوح في انسجام الأسئلة مع إجاباتها الثابتة القاطعة.

إضافة إلى ذلك، فقد علّق القرآن الكريم تعليقاتٍ مختلفة على تلك الإجابات التي جاءت على لسان الكفار، وكانت التعليقات على النحو الآتي:

التعليق الأول: (قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُون)[٢٢٩].

التعليق الثاني: (قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون)[٢٣٠].

التعليق الثالث: (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُون)[٢٣١].

وكأنّ هذه التعليقات جاءت متدرجة بعد إجاباتهم المقرة بربوبيّة الله، فالدعوة إلى التذكّر تسبق الدعوة إلى التقوى، ثم يأتي التعليق الأخير بسؤال إنكاري.

قال ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) في تفسير هذه الآيات: "قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لِمنْ مُلْكُ الأرضِ ومن فيها مِن الخلقِ إن كنتم تعلمون مَنْ مالكها؟ ثم أعْلِمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكاً دون سائر الأشياء غيره. (قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُون) يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: أفلا تذكَّرون فتَعلمون أنّ من قَدَر على خلق ذلك ابتداءً، فهو قادرٌ على إحيائهم بعد مماتهم، وإعادتهم خلقاً سويّاً بعد فنائهم[٢٣٢].

وقال: "قل لهم يا محمد: مَنْ رَبُّ السماوات السبع وربُّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله"(٢٣٣).

وقال: "قل يا محمد: من بيده خزائن كل شيء... فإنهم يقولون إنّ ملكوت كل شيء، والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: فأنى تُسحرون؟ يقول: فمِن أي وجه تُصرَفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره، وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياءً بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته"(٢٣٤).

وعلى ذلك يكون كل جواب مناسباً لذلك التدرج الذي جرى عليه الحوار، وبدأت على أساسه سلسلة الأسئلة التي تحقق الإقرار بالربوبية، ومن ثم الدعوة إلى الإقرار بالألوهية.

والجدير بالذكر أنّ الاستفهام المتتابع في الآيات السابقة، والذي نتج عنه جمل مكررة في الإجابة، جاء– حسب مدارس النقد الحديث– في موضع يحسن الاستفهام فيها، فقد ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال رحمه الله أنّه يحسن وضع الاستفهام في مواضع، "وخير هذه المواضع أن يكون خصمك قد أجاب على سؤال، بحيث لو وضعت له سؤالاً بعدَه أوقعته في حرج... وموضع آخر من المواضع التي يحسن فيها الاستفهام هو أن تكون إحدى المقدمات من الواضح صحتها، وترى أن خصمك سيجيبك بالإيجاب إذا سألته عن صحة المقدمات الأخرى"(٢٣٥). وهذا ما حصل في الآيات السابقة.

ثانياً- منظومة الجمل المكررة في سور مختلفة:

١– قوله تعالى: (لاَ رَيبَ فِيهِ)(٢٣٦).

تكررت عشر مرات في تسع سور.

هذه جملة خبرية مكونة من (لا) النافية للجنس، واسمها (ريب)، والمتعلق بخبرها المحذوف (فيه)، أي: لا ريبَ كائنٌ فيه، وقد تكررت هذا الجملة عشر مرات في تسع سور؛

مرة واحدة في كل من: سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة الأنعام، وسورة يونس، وسورة الإسراء، وسورة السجدة، وسورة الشورى، وسورة الجاثية، ومرتين في سورة آل عمران.

وكما هو واضح، توزعت هذه الجملة على أجزاء متفرقة من القرآن؛ لتحقق الشمولية، وتفرض التدوير، حيث تحمل قضيتين أساسيتين لا ريب فيهما:

الأولى: قضية تصديق يوم القيامة، أنه واقعٌ كائنٌ، وقد تكررت في سبعة مواضع:

الأول- في قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد)[٢٣٧].

الثاني- في قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون)[٢٣٨].

الثالث- في قوله تعالى: (اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا)[٢٣٩].

الرابع- في قوله تعالى: (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون)[٢٤٠].

الخامس- في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا)[٢٤١].

السادس- في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير)[٢٤٢].

السابع- في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون)[٢٤٣].

ويلاحظ أنّ الجملة المكررة في كل من الموضع الأول، والموضع الثاني، والموضع الخامس، جاءت في موقع النعت، أمّا في المواضع الباقية، فقد جاءت في موقع الحال.

والقضية الثانية: قضية تصديق القرآن، أنه من الله، وقد تكررت في ثلاثة مواضع:

الأول- في قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين)[٢٤٤].

الثاني- في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين)[٢٤٥].

الثالث- في قوله تعالى: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين)[٢٤٦].

وقد جاءت الجملة المكررة في جميع المواضع الثلاثة السابقة في موقع الحال.

ويتبيّن- من خلال هذا التكرار- مدى إسهام هذه الجملة المكررة في تأكيد هاتين القضيتين، والتذكير بأهميتهما، والتركيز على التصديق بهما، إضافة إلى الإسهام في تماسك النص القرآني وانسجامه؛ لما تحققه هذه الجمل المكررة من تدوير حول القضايا المحورية التي يتناولها القرآن.

٢- قوله تعالى: (قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)[٢٤٧].

تكررت تسع مرات مفرقة في ثلاث سور.

هذه آية من ثلاث جمل متتالية تكررت أربع مرات في سورة الأعراف، وثلاث مرات في سورة هود، كما جاءت في سورة المؤمنون مرتين بتغير في أولها؛ تارةً بزيادة الفاء: (فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون)[٢٤٨]، وتارة بحذف فعل القول: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)[٢٤٩].

والملاحظ في هذه الجمل المكررة إتيانها في بداية قصص الأنبياء المذكورين في السور، ففي الأعراف جاءت هذه الجمل في بداية قصة كل من نوح، وهود، وصالح، وشعيب، عليهم السلام، مرتبين ههنا ترتيباً زمنياً من السابق إلى اللاحق، وكذلك في سورة هود، باستثناء نوح عليه السلام، فلم تأت هذه الجمل في بداية قصته في هذه السورة. أما في سورة المؤمنون، فكانت الأولى على لسان نوح عليه السلام، والثانية على لسان هود عليه السلام.

وينطبق التحليل النصي السابق في تكرار آيات سورة الشعراء على هذه الجمل المتتالية، إلا أنّ الاختلاف واقع في طريقة النظم، وتغير الإيقاع، والدعوة بخطاب أقوامهم بمحبة

ورحمة بقولهم: (يَاقَوْمِ) بالنداء القريب، وتقديم الجار والمجرور (لكم) على المبتدأ (إله)؛ لتبرز مدى اهتمام الرسول بقومه، وفي الآية أيضاً تركيز على عبادة الله وحده؛ وذلك لكون السور الثلاث سوراً مكيّة، ومن ملامح العهد المكي– كما هو معلوم– التركيز على العقيدة، كا هو في سياق سورة الشعراء الذي سبق، وقد جاء النفي هنا بقوله: (مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)؛ لأن المقام يقتضي ذلك، حيث نفي عقيدة الشرك هو المناسب للمقام؛ لأن القوم واقعون في الشرك، ولا بد من تخليص قلوبهم منه أولاً؛ حتى يستقر بعد ذلك الإيمان والتوحيد، فلا يجتمع الإيمان والشرك في قلب واحد[٢٥٠].

وقد سَمَّى الدكتور سعد عبدالعظيم محمد هذا النوع من التكرار الذي يجيء في قصص الأنبياء في بداياتها ونهاياتها: التّكرار المنتظم، وقال: إنّ المتأمل في قصص الأنبياء مع أقوامهم "يجد نوعاً من التكرار، يسمّى التكرار المنتظم، وهو تكرار آية أو أكثر منها بنظام ثابت لا يتغير في أكثر من موضع"[٢٥١]. ثم عَدَّد أنماط هذا النوع من التكرار المنتظم على النحو الآتي:

أ– أن تبدأ قصة كل نبي بآية تمهيد لهذه القصة، كما في سورة مريم، حيث تبدأ كل قصة بقوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ)[٢٥٢].

ب– أن تبدأ قصة كل نبي بدعوة قومه إلى عبادة الله وتوحيده، كما في سورة الأعراف وسورة هود كما سبق.

ت– أن تبدأ قصة كل نبي بآيات ذات ثلاثة محاور؛ الدعوة إلى تقوى الله، وتبيان أمانة الرسول، وأنّ أجره لا يكون إلا على الله؛ نفياً لتهمة التكسب، كما في سورة الشعراء.

ث– أن تبدأ قصة كل قوم بذكر تكذيبهم، وتنتهي بذكر تيسير القرآن للذكر، كما في سورة القمر.

ج– أن تتكرر النهاية بآية أو أكثر من آية تأكيداً لمصير المكذبين، ونجاة المؤمنين، كما في سورتي القمر والشعراء[٢٥٣].

٣- قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)[٢٥٤].

تكررت ست مرات في ست سور.

هذه آية مكوّنة من ثلاث جمل تكررت ست مرات في ست سور متفرقة، في سورة يونس، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة النمل، وفي سورة سبأ، وفي سورة يس، وفي سورة الملك.

والملاحظ في تكرار هذه الآيات أنّ جميع السور التي تكررت فيها سورٌ مكيّة، وقد تفرقت هذه السور على أجزاء من المصحف، فقد جاءت في سورة يونس في الجزء الحادي عشر، وفي سورة الأنبياء في الجزء السابع عشر، وفي سورة النمل في الجزء العشرين، وفي سورة سبأ في الجزء الثاني والعشرين، وفي سورة يس في الجزء الثالث والعشرين، وفي سورة الملك في الجزء التاسع والعشرين، وفي هذا إشارة إلى إكثار الكفار من هذا السؤال: (مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ) منذ العهد المكي، أي: متى يأتي هذا الوعد الذي تعدنا به من العذاب الذي يحل بنا[٢٥٥]، وتبيان سطوة الشك التي تسيطر عليهم؛ لقولهم: (إِن كُنتُمْ صَادِقِين)، ولما في سؤالهم من تهكم وسخرية، وهو سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة[٢٥٦]، وذلك "أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: متى هذا العذاب الذي تعدنا، إن كنت صادقاً، يقولون ذلك مستهزئين تكذيباً بالعذاب"[٢٥٧]. كما ينبئ الفعل المضارع (يَقُولُونَ) بالاستمرارية على ذلك السؤال، وهو واقع من قِبَل المعرضين إلى يومنا هذا.

ويلاحظ أيضاً- على الرغم من كون السؤال واحداً- تنوع الإجابات في كل سورة، وكأنّ كل سؤال من هذه الأسئلة المتكررة يتطلب جواباً مختلفاً يتناسب مع مراحل الدعوة والتنزيل. وقد كانت إجابات القرآن بعد سؤالهم: (مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِين) مرتبة على النحو الآتي:

الجواب الأول: (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون)[٢٥٨].

الجواب الثاني: (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون)[٢٥٩].

الجواب الثالث: (قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُون)[٢٦٠].

الجواب الرابع: (قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُون)[٢٦١].

الجواب الخامس: (مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُون)[٢٦٢].

الجواب السادس: (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِين فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُون)[٢٦٣].

يلاحظ ههنا أنّ جميع الإجابات كانت واضحة، جاءت بتركيز وإتقان، وهي تشتمل على حقائق ثابتة بأنّ ذلك الوعد آتٍ لا محالة، وهو قريب لا يؤخَّر ولا يقدَّم، وأنّ العذاب واقع بالمكذبين المستعجلين به، وأنّ ميقات ذلك الوعد خاصٌّ بعلم الله وحده.

ويلاحظ خلو الجوابين الثاني والخامس من كلمة (قُلْ)، وإثباتها في الباقي؛ ليكون الجواب فيهما ضمنياً يفهم من خلال السياق؛ إذ إنّ الخطاب موجَّه فيهما للنبي عليه الصلاة والسلام. وقد حققت الجمل المكررة فيما سبق أغراضاً نصّية مهمة في إثبات استمرارية السؤال، ووضوح الجواب وثباته، وذلك بأساليب متنوعة في المعاني والألفاظ، وعبارات متناهية في الدقة والإتقان، والسبك والحبك.

٤- قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ)[٢٦٤].

تكررت ست مرات في ست سور.

تكررت هذه الجملة ست مرات في ست سور؛ يونس، ومريم، والحج، وسبأ، والجاثية، والأحقاف، وكلها مكية ما عدا سورة الحج، ووردت من غير (بَيِّنَات) في سورة الأنفال المدنية[٢٦٥].

وهذه جملة استئنافية شرطية، أتت في المواضع السبعة السابقة في صدر آياتها، وهي تحقق ترابطاً في أجزاء النص القرآني بإثارة موضوع ردود أفعال المكذبين عندما تتلى عليهم

آيات القرآن الواضحات، وتنوع الجواب في كل مرة تتكرر فيها الجملة الشرطية، وبتنوع المعاني والأساليب تزداد إثباتات قوة القرآن اللغوية، كما إنّ مجيئها بهذا العدد في القرآن الكريم دليل ثقة وتأكيد؛ لأن الذي يكرر الكلام واثق بحجته مؤكد لها، فلا يسعى إلى الهروب منها، بل هو الذي يبادر بطرحها وإثارتها.

وعند النظر إلى جواب الشرط في كل موضع من المواضع المكررة، نجد جواباً مختلفاً، وأسلوباً متغيِّراً، وفي ذلك إثبات ما في ردود المكذبين من اضطراب وتذبذب، وإليك المواضع المكررة:

الموضع الأول: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين)[٢٦٦].

الموضع الثاني: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم)[٢٦٧].

الموضع الثالث: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)[٢٦٨].

الموضع الرابع: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِير)[٢٦٩].

الموضع الخامس: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين)[٢٧٠].

الموضع السادس: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين)[٢٧١].

الموضع السابع: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِين)[٢٧٢].

يلاحظ أنّ جواب القسم يأتي مختلفاً في كل مرة، فتارةً يقولون: قد سمعنا هذه الآيات، ويدَّعون أنهم قادرون على الإتيان بمثلها، وتارةً يطالبون بتبديل القرآن والإتيان بغيره، وتارةً يغيِّرون مجرى الحديث، ويتفاخرون بسعة العيش وأفضلية المسكن والمجلس[٢٧٣]، وتارةً لا يتكلَّمون، ولكن تعرف في وجوههم المنكر، أي الغم والحزن والكراهية، ويكادون يضربون القراء ويبطشون بهم أشد البطش[٢٧٤]، وتارةً يقولون للناس: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدَّكم عن عبادة الآباء، وتارةً لم تكن لهم حجّة إلا المطالبة بإحياء أولئك الآباء الغابرين، وتارةً يعجزون إلا أن يقولوا عن القرآن: هذا سحرٌ مبين.

الإجابات السابقة ملأت النص القرآني بالصور الفنية، وكان منطلقها تلك الجملة الشرطية المكررة التي أسهمت في تكثيف الدلالات المتنوعة في إطار الموضوع الواحد، ولوّنت النص بمعانٍ أخرى، فقد كانت جملة الشرط التي تكررت تمهيداً لكلام منتظر، ومضمون معنى قادم، بالإضافة إلى أنها ساعدت على تكثيف الدلالة وتلوين النص بمعانٍ ثانية.

٥- قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)[٢٧٥].

تكررت خمس مرات في أربع سور.

هذه عبارة مكوّنة من جملتين؛ جملة القول، وجملة مقول القول، وقد تكررت هذه العبارة خمس مرات في أربع سور، في سورة يونس مرة واحدة، وفي سورة هود مرتين، وفي سورة السجدة مرة واحدة، وفي سورة الأحقاف مرة واحدة.

ويلاحظ قرب المواضع الثلاثة الأولى من بعضها في المصحف، فالموضع الأول وقع في الجزء الحادي عشر، والموضعين الأخريين وقعا في الجزء الثاني عشر، ثم بَعُدَ الموضع الرابع عن المواضع الثلاثة الأولى، حيث وقع في الجزء الحادي والعشرين، وجاء الموضع

الخامس في الجزء السادس والعشرين. ويلاحظ أيضاً أنّ جميع المواضع كانت في سُوَرٍ مكيّة.

ومن الناحية التركيبية جاءت (أَمْ) في بداية العبارة، وهي هنا المنقطعة؛ لمجيئها بعد الأخبار المحضة في كل مواضعها[٢٧٦]، "وذلك كقولك: أعمرٌو عندَك أَمْ عندَك زيدٌ؟ فهذا ليس بمنزلة أيهما عندَك؟"[٢٧٧]. وقال مَكّي: "(أَمْ) هنا للخروج من خبر إلى خبر آخر، وقيل: هي بمعنى بل"[٢٧٨].

وتهدف العبارة إلى تسلية النبي صلى الله عليه وسلّم، والتخفيف عنه، والرد على من يُكذِّبه ويَدَّعي أنه مفترٍ، فلذلك كان القرآن يجيبهُم تارةً "بأنّه لو افتراه لم يملكوا له من الله شيئاً، بل كان يأخذه، ولا يقدرون على تخليصه، كقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)[٢٧٩]، وتارة يجيبهم بالمطالبة بمعارضته بمثله، أو شيء منه، وتارة بإقامة الأدلة القاطعة على أنه الحق، وأنهم هم الكاذبون المفترون، وهذا هو الذي يحسن في جواب هذا السؤال، لا مجرد الصبر"[٢٨٠].

أمّا الموضوع الرئيس الذي تدور حوله هذه العبارة فهو موضوع التحدّي بالقرآن، وتفنيد مزاعم المدعين بافترائه، فمن المعلوم أنّ الله عز وجل تحدّى العرب في بداية الأمر بأن يأتوا بمثل القرآن، "ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه، فقال: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)[٢٨١]، ثم تحدّاهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)"[٢٨٢][٢٨٣]، ثم ذكر عز وجل في سورة هود أنّ عدم استجابتهم لهذا التحدي إنما هو دليل على أنّ ذلك القرآن ليس من صنع البشر، فقال: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُون)[٢٨٤].

ومن هنا كان موضوع الكلام الذي يسبق قوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) في أربعة مواضع من الخمسة في تأكيد إنزال القرآن من الله عز وجل، وذلك كما يلي:

الموضع الأول: (وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)[٢٨٥].

الموضع الثاني: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيل أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)[٢٨٦].

الموضع الثالث: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)[٢٨٧].

الموضع الرابع: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)[٢٨٨].

ففي جميع الآيات التي سبقت العبارة المكررة كان الكلام عن القرآن؛ ففي الموضع الأول تأكيد على عدم إمكانية افترائه، وإشارة إلى أنه تصديق ما أرسل به الرسل من قبل، وفي الموضع الثاني تثبيت للنبي عليه الصلاة والسلام، "الذي كان يضيق صدره أن يُلقى إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فحَرَّك اللهُ منه وهيجه لأداء الرسالة، وطرح المبالاة، بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ)، أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم؛ مخافة ردّهم له وتهاونهم به، (وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) بأن تتلوه عليهم"[٢٨٩].

وفي الموضع الثالث تأكيد بأنّ تنزيل الكتاب– بلا شك– من رب العالمين، وفي الموضع الرابع بيان حال المشركين عد تلاوة النبي آيات القرآن الواضحات بأنهم يقولون: هذا سحر مبين، ويعنون أنّ هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعلُ السحر المبين[٢٩٠].

فكل ما سبق كان في إطار الموضوع الذي تحمله العبارات المكررة، والذي تناول تأكيد صدق القرآن أنه منزّل من الله، وتفنيد الادعاءات الباطلة، فكان التماسك والانسجام بين الآيات قويّاً واضحاً.

بقي موضع في سورة هود لم يسبقه حديث عن القرآن، بل توسّط قصة نوح عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: (قَالُواْ يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِين وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون - أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُون - وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُون وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُون)[٢٩١].

يلاحظ من خلال الآيات السابقة أنّ قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُون) إنّما هو نصٌّ اعتراضي في قصة نوح عليه السلام، حيث جاء هذا النص الاعتراضي بين موقفين؛ الأول: موقف تكذيب قوم نوح عليهم السلام، وتهكمهم بالعذاب، وتحذير نوح لهم من ذلك العذاب الذي لا يرد، والموقف الثاني: موقف مجيء حكم الله عليهم وأمره نوحاً بصنع الفلك تمهيداً لوقوع أمر الطوفان.

فالموقف الأول كان بين البشر، ففيه أخذ وردّ، وأمل موجود باقٍ في إيمان المعرضين، أمّا الموقف الثاني، فكان بداية الوحي الإلهي بانقضاء الأمر، وانقطاع الأمل في إيمانهم، والأمر ببناء سفينة النجاة، وربما جاءت (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) بين الموقفين؛ حتى يقف عليها المتأمّل، ويتذكّر المتذكر، إذ إنّ أمره ما زال في يده، قبل أن يأتي أمر الله!

ثمة شيء يدعو إلى التأمل في مجيء (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) دون أن تسبق بكلام عن القرآن في هذا الموضع دون غيره، وهو أنّ هذا الموضع هو موضع تكرارها الثاني في سورة هود،

وهي السورة الوحيدة التي تكررت فيها مرتين، وقد سبق الكلام في الأولى عن القرآن، فأغنى عن إعادته في المرة الثانية.

وقد حققت هذه العبارة المكررة في السور التي جاءت فيها التماسك النصي بصورة لافتة في القرآن الكريم؛ وذلك لاتفاق الموضوع واختلاف الرد والنظم والأسلوب، وذكره في أثناء كل منها التحدي المستمر بالقرآن ردّاً على من زعم الافتراء، وكذلك التماسك في الترتيب بين سورتي يونس وهود التي تكررت فيها (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) ثلاث المرات الأولى، حيث نُبِّه الناس في السورة الثانية كما نُبِّهوا في الأولى، وطلب منهم الإتيان بمثل سور القرآن[٢٩٢].

٦- قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)[٢٩٣].

تكررت ثلاث مرات في ثلاث سور.

تكررت هذه الجملة الاستئنافية ثلاث مرات في ثلاث سور، في سورة آل عمران، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة العنكبوت.

والملاحظ في تكرار هذه الجملة أنها تُقَرِّر حقيقةً واقعةً مرئيةً، وهي وقوع الموت على كل نفس بشرية، إلا أنّ هذه الجملة جاءت بلفظ (ذائقة) على سبيل الاستعارة المكنية؛ لتقرِّب إلى الأذهان معرفة حصول الموت، فكأنّ له مذاقاً، أي أنه يُشعَر بطعمه.

كما يلاحظ في تكرار هذه الجملة أنها توزعت على أجزاء متفرقة من المصحف، فقد جاءت في سورة آل عمران في الجزء الرابع، وفي سورة الأنبياء في الجزء السابع عشر، وفي سورة العنكبوت في الجزء الواحد والعشرين، وهي بذلك تحقق التذكير عند طول العهد، وكذلك تجعل النص القرآني متماسكاً منسجماً.

وإذا ما تأملنا الآيات الثلاث التي جاءت هذه الجملة المكررة فيها، وجدناها تقصُر شيئاً فشيئاً، ففي آل عمران جاءت الآية: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ)[٢٩٤].

فهنا يلاحظ مجيء ثلاث جمل رئيسية متتالية بعد (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)، الأولى منها معطوفة عليها تبدأ بـ(إنما) التي تفيد الحصر والقصر، وتحقق التأكيد، ثم تأتي الجملة الثانية شرطيّةً، تبين الفوز الحقيقي، وهو دخول الجنة والنجاة من النار، ثم تأتي الجملة الثالثة معطوفة على الأولى، بأسلوب حصر وقصر أيضاً، ولكن بأدوات مختلفة عن سابقتها، حيث اجتمع النفي مع (إلا)؛ ليحقق التنويع في تأكيد الأمر الكائن لا محالة، وهو تبيان قيمة الحياة الدنيا، بأنها لا تعدو أن تكون أكثر من متاع زائل.

وفي سورة الأنبياء: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون)[٢٩٥]، فيلاحظ مجيء جملتين معطوفتين على (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)، فيهما إشارة وتنبيه إلى ابتلاء الله العباد بالشر والخير، وكلاهما فتنة، وأنّ مرجع العباد بعد الموت إلى الله.

أمّا في سورة العنكبوت: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون)[٢٩٦]، فيلاحظ مجيء جملة واحدة فقط بعد (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)، معطوفةً عليها، وهي تحمل معنى آية الأنبياء السابقة، لكن دون الإشارة إلى الابتلاء بالشر والخير، فكأنّ الإنسان لا يحتاج إلى إعادة التفاصيل كل مرة، إنما يحتاج إلى تلخيص يذكِّره وينبِّهه.

وقد جاء العطف هنا مختلفاً عن العطف السابق في سورة الأنبياء، حيث عطف هنا بـ(ثُمَّ)، أما هناك فكان العطف بالواو، وذلك لأنّ (ثُمَّ) للتراخي، والرجوع المقصود هو: الرجوع إلى الجنة أو النار، وذلك في يوم القيامة، فخصّت سورة العنكبوت به، وخصت سورة الأنبياء بالواو لما فصل الكلامين بقوله: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)، وإنما ذُكرا لتقَدُّم ذكرهما، فقام ذكرهما مقامَ التراخي، وناب حرف الواو مناب (ثُمّ)[٢٩٧].

ولا شك أنّ هذه المنظومة المتكاملة المحبوكة من الجمل المتكررة قد أدّت وظائف نصية واضحة، فقد أسهمت في تماسك النص القرآني، والربط بين المعاني، مع إشارات مساعدة على الفهم، وأغراض ملموسة، كالتأكيد على الحقيقة، والتذكير بما سبق، والتنبيه عليه أكثر من مرة.

وتعقيباً على ما سبق، تبيَّن أنّ هذه المنظومة من الجمل القرآنية المكررة، في السورة الواحدة، أو في السور المختلفة، إنما وقعت ضمن محاور دلالية محددة، فقد ارتكزت تلك الجمل المكررة على المحاور الآتية:

أ- تأكيد ألوهية الله، والأمر بعبادته وحده.

ب- تعداد النعم وتأكيد الخلق والتفضل على العباد.

ت- تيسير القرآن الكريم، والتحدي به، والرد على مدعي افترائه.

ث- تصديق يوم القيامة، وإزالة الشك في وقوعه.

ج- تأكيد حقيقة الموت، والتذكير بلقاء الله بعده.

ح- التذكير بالعذاب لمن كذب، والتخويف به.

ويدلّ ذلك على أهمية هذه المحاور في القرآن الكريم، وكذلك يشير إلى التدوير الواقع على القضايا المحورية في داخل السورة، أو في النص القرآني الكامل، وأثر ذلك الواضح في الترابط النصي، الذي بدوره- كما ذكر آنفاً- يؤدي عملاً تفسيرياً، فتكتشف من خلاله الروابط الخبيئة في النص، وذلك بربطه بين مجموعة قضايا، إلى أن يصل إلى قضية مركزية، وتذكيراً بأنّ النص "لا بد أن يكون مكتملاً في دلالته، مكتفياً بذاته، بالإضافة إلى كونه قولاً لغويّاً مستديراً مكتملاً، يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي"[٢٩٨].

خاتمة:

كانت الجملة القرآنية المكررة هي مادة الدراسة في هذا البحث، وبعد تناول هذه الجملة، والتعرف إلى أنماطها، ومقاصدها الدلالية، وأذواق العرب فيها، ثم عرض نماذج لها في ضوء السياق والمعنى، يمكن الوصول- بعد ذلك- إلى النتائج الآتية:

١- لا بد لمفسِّر القرآن الكريم من ربط الجمل القرآنية المكرَّرة فيما بينها، وإشراكها مع سوابقها ولواحقها، ومراعاة المقام والقصد والسياق؛ ليتحقق لديه التفسير الواضح، الذي يقرّب المعنى، ويوضّح الفكرة، ويعطي دلالات حقيقية تواصلية.

٢- لا بد من إيجاد تفسير نصّي للقرآن الكريم، يقوم على أسس نصّية ضمن معطيات نحو النص، ويعنى بالقضية المحورية للنص، والنظرة الشاملة المستديرة، التي تؤدي إلى الفهم الكامل للنص، بما فيه من دلالة ومقاصد.

٣- ما زالت قضية البحث عن إعجاز القرآن الكريم قائمة؛ وذلك لتطور الدراسات اللغوية الحديثة، ومن هنا ينبغي للغويّ والمفسّر أن يبحثا معاً في اكتشاف أسرار نصّية في القرآن الكريم، وذلك للتأكيد على إعجازه، وإثبات صدقه، وتفرد نظمه.

٤- إزالة الاحتمالات البعيدة في تفسير القرآن الكريم مطلب مهم في الشريعة الإسلامية، وهذا يتطلب تفسيراً نصيّاً قائماً على معطيات نحو النص، ويتطلب أيضاً تطبيقاً تفسيريّاً للتناص في القرآن الكريم، واكتشاف العلاقات التماسكية للنص القرآني.

٥- ضرورة دراسة النص القرآني دراسةً نصّية، تعنى بدلالته، ومقامه، ومقصده، وتنتبه إلى كليته، واستدارته، ووحدته، واكتماله.

٦- وظائف الجمل المكررة في القرآن الكريم تكمن في ثلاث؛ وظيفة دلالية تعنى بتوضيح المعنى وتبيين التفسير، ووظيفة جمالية تعنى بموسيقية الإيقاع والأصوات، ووظيفة نصّية تعنى بالتماسك والانسجام والشموليّة والتدوير.

٧- يعتمد تماسك النص القرآني على شمولية القضايا المحورية التي يتضمنها، وقد تحققت شمولية تلك القضايا في الجمل القرآنية المكررة، بما يسهم في تماسك النص القرآني وانسجامه.

الهوامش :

(١) الشثري، صالح بن عبدالله: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

(٢) عباس، فضل حسن: قضية التكرار في كتاب الله، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، المجلد: ٤، العدد: ٧، إبريل ١٩٨٧م، الصفحات: ١٣– ٧٠.

(٣) محمد، سعد عبدالعظيم: التكرار في القرآن الكريم، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (الإصدار الرابع)، مصر، المجلد: ٥، العدد: ٢، ١٩٩٧م، الصفحات: ٨– ٣٦.

(٤) الليثي، أحمد عبدالفتاح محمد علي الليثي: التكرار اللفظي في القرآن: ترجمة المعنى أم الشكل، مجلة جامعة الملك سعود (اللغات والترجمة)، المملكة العربية السعودية، المجلد: ١٩، ٢٠٠٦م، الصفحات: ١٧– ٣٤.

(٥) ابن يونس، شهرزاد: التكرار الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية في سورة الرحمن، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد: ٥، ٢٠٠٩م، الصفحات: ٧١– ٩٢.

(٦) عبدالمقصود، حسن محمد: التكرار في سورة الرحمن، مجلة فكر وإبداع، القاهرة، ج٦٠، نوفمبر ٢٠١٠م، الصفحات: ١١– ٥٠.

(٧) ابن أسباع، زبيدة: دلالة التكرار في سورة الرحمن، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة– الجزائر، العدد: ١٤، ٢٠١٢م، الصفحات: ١١٣– ١٢٧.

(٨) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:١، ٢٠٠١م، ج٩ ص٣٢٧.

(٩) النووي، يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا: تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دمشق: دار القلم، ط:١، ١٤٠٨هـ، ج١ ص٤٠.

(١٠) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م، ج٤ ص٣١٦.

(١١) الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، و: محمد الزفزاف، و: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ج١ ص١٦٧.

(١٢) التكرار في القرآن الكريم، ص١١.

(١٣) الخولي، إبراهيم: التكرار بلاغة، الشركة العربية، ١٩٩٣م، ص٣٨.

(١٤) التكرار في سورة الرحمن، ص٢٧.

(١٥) عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٠٧.

(١٦) الرحمن: ١٣.

(١٧) نحو النص، ص١٠٨.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) هود: ١٠٨.

(٢٠) المؤمنون: ٣٥.

(٢١) الفجر: ٢١.

(٢٢) يوسف: ٤.

(٢٣) المؤمنون: ٣٦.

(٢٤) الشرح: ٥– ٦.

(٢٥) المرسلات: ١٥.

(٢٦) الصافات: ٨٠.

(٢٧) التكرار في القرآن الكريم، ص٢١.

(٢٨) الأعراف: ٥٧.

(٢٩) الفرقان: ٤٨.

(٣٠) الأعراف: ٧٩.

(٣١) الأعراف: ٩٣.

(٣٢) الأنعام: ٩٠.

(٣٣) يوسف: ١٠٤.

(٣٤) إبراهيم: ٣٥.

(٣٥) البقرة: ١٢٦.

(٣٦) الرعد: ٢.

(٣٧) لقمان: ٢٩.

(٣٨) القصص: ٣٧.

(٣٩) القصص: ٨٥.

(٤٠) البقرة: ٤٨.

(٤١) البقرة: ١٢٣.

(٤٢) آل عمران: ٥١.

(٤٣) مريم: ٣٦.

(٤٤) انظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، ص١٢٩– ٤٨٥.

(٤٥) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٧– ١٩. وانظر: حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٤٨. و: ميشال، جوزيف: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤، ص٤٠. و: كوين، جون: بناء لغة الشعر، ترجمة : د. أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م، ص٢٢.

(٤٦) نحو النص، ص١٩.

(٤٧) المصدر السابق.

(٤٨) المصدر السابق.

(٤٩) فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١٥.

(٥٠) العبد، محمد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٦.

(٥١) المصدر السابق.

(٥٢) الشرح: ٥، ٦.

(٥٣) القيامة: ٣٤، ٣٥.

(٥٤) الانفطار: ١٧، ١٨.

(٥٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، د.ت. ص٢٣٦.

(٥٦) التكاثر: ٣، ٤.

(٥٧) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١١٤.

(٥٨) الزمخشري، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٦ ص٢٥٤.

(٥٩) التكاثر: ٣، ٤.

(٦٠) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ج٣ ص١١.

(٦١) قضية التكرار في كتاب الله، ص٦١.

(٦٢) مريم: ٤٢– ٤٥.

(٦٣) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١١٤.

(٦٤) غافر: ٣٨، ٣٩.

(٦٥) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٣.

(٦٦) المصدر السابق، ص١٤.

(٦٧) النحل: ١١٠.

(٦٨) النحل: ١١٩.

(٦٩) يوسف: ٤.

(٧٠) القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠.

(٧١) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١١٥.

(٧٢) الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار العربي، بيروت، ط:٩، ١٩٧٣م، ص١٩٣.

(٧٣) المصدر السابق.

(٧٤) الحاقة: ١، ٢.

(٧٥) القارعة: ١، ٢.

(٧٦) القدر: ١، ٢.

(٧٧) الحاقة: ١، ٢.

(٧٨) التكاثر: ٣، ٤.

(٧٩) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٧.

(٨٠) المدثر: ١٩، ٢٠.

(٨١) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٨.

(٨٢) الرحمن: ١٣.

(٨٣) المرسلات: ١٥.

(٨٤) ابن ربيعة، مهلهل: ديوان مهلهل بن ربيعة، تحقيق : طلال حرب، الدار العالمية، ج١ ص٤٠.

وانظر: اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك: أمالي اليزيدي، تحقيق: الحبيب عبدالله بن أحمد العلوي الحسني الحضرمي، جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، ط:١، ١٩٣٨م، ج١ ص١٢٠.

(٨٥) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١٢٣.

(٨٦) محامدية، سمية: دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، رسالة ماجستير، إشراف: د. ليلى كادة، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢– ٢٠١٣م، ص١٢– ١٦.

(٨٧) براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، و: د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص٣٢.

(٨٨) عبداللطيف، محمد حماسة: الإبداع الموازي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٥.

(٨٩) نحو النص، ص٤٠.

(٩٠) المصدر السابق، ص٤٧.

(٩١) الكافرون: ١.

(٩٢) الكافرون: ٢، ٣.

(٩٣) الكافرون: ٤، ٥.

(٩٤) تأويل مشكل القرآن، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٩٥) باردیس، ماریا لور: التكرار، ترجمة: أحمد حيزم، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد: ٣٥، مارس ٢٠٠٦م، الصفحات: ٩– ٤٤، ص٢٧.

(٩٦) ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق: د. بدوي طبانه، و: د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ج٣ ص٨.

(٩٧) الأنعام: ١١٧.

(٩٨) القلم: ٧.

(٩٩) الأنعام: ١١٦.

(١٠٠) القلم: ٥– ٧.

(١٠١) الكرماني، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، ص٤٨.

(١٠٢) نحو النص، ص٩٨.

(١٠٣) مناهج النقد المعاصر، ص١١٥. نقلاً عن: نحو النص، ص٣٠.

(١٠٤) نحو النص، ص٣٤.

(١٠٥) المصدر السابق، ص٣٧.

(١٠٦) المصدر السابق، ص٣٨. وانظر: الكشاف، ج٢ ص٤٠٥، و: ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط:١، ١٩٩٠م، ج١ ص١٢٢، و: البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٧م، ج٤ ص٢٩١، و: العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى: شرح أبي داود للعيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٩٩٩م، ج٥ ص٢٦٨.

(١٠٧) نحو النص، ص٨٣.

(١٠٨) النحل: ٩٠.

(١٠٩) البيهقي، أحمد بن الحسين: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:١، ١٤٠١هـ، ج١ ص٢٦٨.

(١١٠) مقدمة أسرار التكرار للكرماني، ص١٤.

(١١١) نحو النص، ص٢٦.

(١١٢) سعدية، نعيمة: صناعة الكلام في البلاغة العربية برؤية لسانية نصية، مجلة مقاليد، العدد: ٩، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٦٦.

(١١٣) الكافرون: ١.

(١١٤) الرحمن: ١٣.

(١١٥) تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٥.

(١١٦) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تحقيق: قسم التحقيق بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، المطبعة الميمنية، القاهرة، ط:١، ١٣١٨هـ، ج١ ص١٥٠.

(١١٧) الرحمن: ١٣.

(١١٨) المرسلات: ١٥.

(١١٩) مفتاح العلوم، ج١ ص٢٤٨.

(١٢٠) التكرار لباردیس، ص٣١.

(١٢١) المصدر السابق، ص٣٢.

(١٢٢) المصدر السابق، ص٤٣.

(١٢٣) التكرار في سورة الرحمن، ص١٣.

(١٢٤) الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١ ص١٠٤.

(١٢٥) هو النخار بن أوس العذري.

(١٢٦) البيان والتبيين، ج١ ص١٠٤.

(١٢٧) التكرار في سورة الرحمن، ص١٤.

(١٢٨) يوسف: ١٨، ٨٣.

(١٢٩) عطاوي، الطيب: الاتساق والانسجام في بنية الخطاب القرآني، السنة: ٩، العدد: ١٠٠، الصفحات: ٩٦– ١٠٧، الجزائر، ٢٠١٤م، ص١.

(١٣٠) الكافرون: ٣، ٥.

(١٣١) التكرار في القرآن الكريم، ص١٨.

(١٣٢) آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١.

(١٣٣) النحل: ٦٦، المؤمنون: ٢١.

(١٣٤) الإسراء: ١٠٥، الفرقان: ٥٦.

(١٣٥) الحج: ٨، لقمان: ٢٠.

(١٣٦) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١٧ ص١٢٠.

(١٣٧) الطور: ٤٠، ٤١، القلم: ٤٦، ٤٧.

(١٣٨) الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢.

(١٣٩) الحجر: ٤٥، الذاريات: ١٥.

(١٤٠) الحشر: ١، الصف: ١.

(١٤١) الجمعة: ١، التغابن: ١.

(١٤٢) الواقعة: ٩٦، الحاقة: ٥٢.

(١٤٣) التكرار في القرآن الكريم، ص٢٨.

(١٤٤) البقرة: ٢٢٨، ٢٤٠، المائدة: ٣٨، الأنفال: ٦٧، التوبة: ٤٠.

(١٤٥) النساء: ٤٣، المائدة: ٦.

(١٤٦) الرحمن: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

(١٤٧) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١٢٢.

(١٤٨) تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٩.

(١٤٩) الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م، ج٤ ص٢٩٠، و: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي: شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط:٢، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، ج٤ ص١٦، ونص الحديث في البخاري: "إنّ

للجنة ثمانيةَ أبوابٍ منها: باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للمتصدقين، وباب للواطئين، وليس أحدٌ من هذه الأصناف يمرُّ بخزنةِ الجنةِ إلا كلهم يدعوه: هلمّ إلينا".

(١٥٠) التكرار الصوتي في القرآن الكريم، ص٧٧.

(١٥١) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، د.ط، د.ت، ج٦ ص٢١٧.

(١٥٢) أسرار التكرار للكرماني، ص٢٣١.

(١٥٣) الرحمن: ٢٦.

(١٥٤) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٩.

(١٥٥) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م، ج٢ ص٣٦١.

(١٥٦) المستدرك على الصحيحين، ج٢ ص٥١٥.

(١٥٧) التكرار الصوتي في القرآن الكريم، ص٧٧.

(١٥٨) الرحمن: ٣٥.

(١٥٩) أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي: ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط:٥، ج١ ص٣٠٧.

(١٦٠) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٨.

(١٦١) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٧ ص٣.

(١٦٢) السلامي، عمر: الإعجاز الفني في القرآن، تونس، ١٩٨٠م، ص٢٣٨.

(١٦٣) التكرار في القرآن الكريم، ص١٦.

(١٦٤) التكرار الصوتي في القرآن الكريم، ص٧٨.

(١٦٥) المصدر السابق.

(١٦٦) الرحمن: ١٨.

(١٦٧) الرحمن: ١٧.

(١٦٨) ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م، ج٢٧، ص٢٤٦.

(١٦٩) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٨، ١٩.

(١٧٠) التكرار الصوتي في القرآن الكريم، ص٧٩.

(١٧١) التكرار في سورة الرحمن، ص٤٣.

(١٧٢) السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م، ج١ ص١٥٤.

(١٧٣) انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج١ ص٤١٤، و: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج١٦ ص٢٥١.

(١٧٤) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١٢٣.

(١٧٥) سورة المرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

(١٧٦) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٥هـ، ج٢ ص٧٩٢.

(١٧٧) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١١– ٢٠.

(١٧٨) القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط:٤، ١٩٩٨م، ج١ ص١٨٩.

(١٧٩) صبح الأعشى، ج٢ ص٣٦١.

(١٨٠) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١١– ٢٠.

(١٨١) المرسلات: ١– ٧.

(١٨٢) المرسلات: ٨– ١٣.

(١٨٣) المرسلات: ١٤.

(١٨٤) المرسلات: ١٦– ١٩.

(١٨٥) المرسلات: ٢٠– ٢٤.

(١٨٦) المرسلات: ٢٥– ٢٨.

(١٨٧) المرسلات: ٢٩– ٣٤.

(١٨٨) قضية التكرار في كتاب الله، ص٥٩.

(١٨٩) المرسلات: ٣٥– ٣٧.

(١٩٠) المرسلات: ٣٨– ٤٠.

(١٩١) المرسلات: ٤١– ٤٥.

(١٩٢) المرسلات: ٤٦– ٤٩.

(١٩٣) قضية التكرار في كتاب الله، ص٦٠.

(١٩٤) الشعراء: ١٠٧– ١٠٩، ١٢٥– ١٢٧، ١٤٣– ١٤٥، ١٦٢– ١٦٤، ١٧٨– ١٨٠.

(١٩٥) الشعراء: ٨– ٩، ٦٧– ٦٨، ١٠٣– ١٠٤، ١٢١– ١٢٢، ١٣٩– ١٤٠، ١٥٨– ١٥٩، ١٧٤– ١٧٥، ١٩٠– ١٩١.

(١٩٦) القصص: ٣٨.

(١٩٧) طه: ٧٩.

(١٩٨) الزخرف: ٥٤.

(١٩٩) الشعراء: ٢٩.

(٢٠٠) الزخرف: ٥١.

(٢٠١) القصص: ٣٣.

(٢٠٢) النمل: ١٢.

(٢٠٣) التوبة: ١١٤.

(٢٠٤) التوبة: ١١٤.

(٢٠٥) الأنبياء: ٥٨.

(٢٠٦) مريم: ٤٢.

(٢٠٧) التكرار في القرآن الكريم، ص٣٢.

(٢٠٨) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص١٩– ٢٠.

(٢٠٩) القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠.

(٢١٠) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢١١) القمر: ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١.

(٢١٢) البرهان في علوم القرآن، ج٣ ص٢٠.

(٢١٣) الكشاف، ج٤ ص٤٣٩.

(٢١٤) القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠.

(٢١٥) دلالة التكرار في سورة الرحمن، ص١١٥.

(٢١٦) بشير، خليل خلف: ملامح أسلوبية في سورة القمر، مجلة مآب القرآنية، السنة: ١، العدد: ٣، حزيران ٢٠٠٧م، ص٥.

(٢١٧) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط:١، ج٤ ص١٣٦.

(٢١٨) البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٧ ص٣٤٥.

(٢١٩) المصدر السابق، ج٧ ص٣٣٧.

(٢٢٠) التكرار في القرآن الكريم، ص٣٤.

(٢٢١) المصدر السابق.

(٢٢٢) المؤمنون: ٨٥، ٨٧، ٨٩.

(٢٢٣) المؤمنون: ٨٤.

(٢٢٤) المؤمنون: ٨٦.

(٢٢٥) المؤمنون: ٨٨.

(٢٢٦) أسرار التكرار للكرماني، ص١٨٥.

(٢٢٧) قرأ بعض القراء كأبي عمرو ويعقوب واليزيدي وغيرهم بالمطابقة في الجوابين الأخيرين لفظاً ومعنىً: (سيقولونَ اللهُ)، وأمر ذلك واضح نحويّاً. انظر: الخطيب، د. عبد اللطيف محمد: معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، ط:١، ٢٠٠٢م، ج٦ ص٢٠٠– ٢٠٢.

(٢٢٨) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، و: محمد علي النجار، دار السرور، د.ط، د.ت، ج٢ ص٢٤٠.

(٢٢٩) المؤمنون: ٨٥.

(٢٣٠) المؤمنون: ٨٧.

(٢٣١) المؤمنون: ٨٩.

(٢٣٢) جامع البيان، ج١٨ ص٤٧.

(٢٣٣) المصدر السابق، ج١٨ ص٤٩.

(٢٣٤) المصدر السابق.

(٢٣٥) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٤٠.

(٢٣٦) البقرة: ٢، آل عمران: ٩، آل عمران: ٢٥، النساء: ٨٧، الأنعام: ١٢، يونس: ٣٧، الإسراء: ٩٩، السجدة: ٢، الشورى: ٧، الجاثية: ٢٦.

(٢٣٧) آل عمران: ٩.

(٢٣٨) آل عمران: ٢٥.

(٢٣٩) النساء: ٨٧.

(٢٤٠) الأنعام: ١٢.

(٢٤١) الإسراء: ٩٩.

(٢٤٢) الشورى: ٧.

(٢٤٣) الجاثية: ٢٦.

(٢٤٤) البقرة: ٢.

(٢٤٥) يونس: ٣٧.

(٢٤٦) السجدة: ٢.

(٢٤٧) الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥. و: هود: ٥٠، ٦١، ٨٤.

(٢٤٨) المؤمنون: ٢٣.

(٢٤٩) المؤمنون: ٣٢.

(٢٥٠) التكرار في القرآن الكريم، ص٣١.

(٢٥١) المصدر السابق، ص٢٩.

(٢٥٢) مريم: ١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦.

(٢٥٣) التكرار في القرآن الكريم، ص٢٩– ٣٥.

(٢٥٤) يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥.

(٢٥٥) القيسي، مكي بن أبي طالب: الهداية الى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ٢٠٠٨م، ج٨ ص٥٤٦١.

(٢٥٦) الكشاف، ج٤ ص٦٦١.

(٢٥٧) مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢ ص٣٥٨.

(٢٥٨) يونس: ٤٩.

(٢٥٩) الأنبياء: ٣٩

(٢٦٠) النمل: ٧٢.

(٢٦١) سبأ: ٣٠.

(٢٦٢) يس: ٤٩

(٢٦٣) الملك: ٢٦، ٢٧.

(٢٦٤) يونس: ١٥، مريم: ٧٣، الحج: ٧٢، سبأ: ٤٣، الجاثية: ٢٥، الأحقاف: ٧.

(٢٦٥) الأنفال: ٣١.

(٢٦٦) الأنفال: ٣١.

(٢٦٧) يونس: ١٥

(٢٦٨) مريم: ٧٣.

(٢٦٩) الحج: ٧٢.

(٢٧٠) سبأ: ٤٣

(٢٧١) الجاثية: ٢٥.

(٢٧٢) الأحقاف: ٧.

(٢٧٣) جامع البيان، ج١٦ ص١١٦.

(٢٧٤) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٩٣م، ج٢ ص٤٠٤.

(٢٧٥) يونس: ٣٧، هود: ١٣، ٣٥، السجدة: ٣، الأحقاف: ٨.

(٢٧٦) الإتقان في علوم القرآن، ج٢ ص٤٤٦.

(٢٧٧) سيبويه، ج٣، ١٧٣.

(٢٧٨) مشكل إعراب القرآن، ج٢ ص٥٦٧.

(٢٧٩) الأحقاف: ٨.

(٢٨٠) الزرعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج١ ص١١٦.

(٢٨١) هود: ١٣.

(٢٨٢) يونس: ٣٨

(٢٨٣) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل القرشي الدمشقي: فضائل القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٧م، ج١ ص١٣.

(٢٨٤) هود: ١٤.

(٢٨٥) يونس: ٣٧، ٣٨.

(٢٨٦) هود: ١٢، ١٣.

(٢٨٧) السجدة: ٢، ٣.

(٢٨٨) الأحقاف: ٧، ٨.

(٢٨٩) الكشاف، ج٢ ص٣٦٢.

(٢٩٠) جامع البيان، ج٢٦ ص٥.

(٢٩١) هود: ٣٢– ٣٧.

(٢٩٢) نظم الدرر، ج٣ ص٥٠١.

(٢٩٣) آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧.

(٢٩٤) آل عمران: ١٨٥.

(٢٩٥) الأنبياء: ٣٥.

(٢٩٦) العنكبوت: ٥٧.

(٢٩٧) أسرار التكرار للكرماني، ص١٧٧.

(٢٩٨) مناهج النقد المعاصر، ص١١٥. نقلاً عن: نحو النص، ص٣٠.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق: د. بدوي طبانه، و: د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:١، ٢٠٠١م.

٣- ابن أسباع، زبيدة: دلالة التكرار في سورة الرحمن، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، العدد: ١٤، ٢٠١٢م، الصفحات: ١١٣- ١٢٧.

٤- باردیس، ماریا لور: التكرار، ترجمة: أحمد حيزم، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد: ٣٥، مارس ٢٠٠٦م، الصفحات: ٩- ٤٤.

٥- البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٦- بشير، خليل خلف: ملامح أسلوبية في سورة القمر، مجلة مآب القرآنية، السنة: ١، العدد: ٣، حزيران ٢٠٠٧م.

٧- براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، و: د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٨- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي: شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط:٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٩- البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

١٠- البيهقي، أحمد بن الحسين: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:١، ١٤٠١هـ.

١١- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي: ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط:٥.

١٢- الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٣- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط:١، ١٩٩٠م.

١٤- الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ج٤ ص٢٩٠.

١٥- حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

١٧- الخطيب، د. عبد اللطيف محمد: معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، ط:١، ٢٠٠٢م.

١٨- الخولي، إبراهيم: التكرار بلاغة، الشركة العربية، ١٩٩٣م.

١٩- الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار العربي، بيروت، ط:٩، ١٩٧٣م.

٢٠- ابن ربيعة، مهلهل: ديوان مهلهل بن ربيعة، تحقيق : طلال حرب، الدار العالمية.
٢١- الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، و: محمد الزفزاف، و: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٢- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٣- الزرعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٤- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
٢٥- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي:
- أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦- سعدية، نعيمة: صناعة الكلام في البلاغة العربية برؤية لسانية نصية، مجلة مقاليد، العدد: ٩، ديسمبر ٢٠١٥م.
٢٧- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تحقيق: قسم التحقيق بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، المطبعة الميمنية، القاهرة، ط:١، ١٣١٨هـ.
٢٨- السلامي، عمر: الإعجاز الفني في القرآن، تونس، ١٩٨٠م.
٢٩- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٩٣م.

٣٠- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط:١.

٣١- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

٣٢- السيوطي، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

٣٣- الشثري، صالح بن عبدالله: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

٣٤- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٥- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.

٣٦- عباس، فضل حسن: قضية التكرار في كتاب الله، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، المجلد: ٤، العدد: ٧، إبريل ١٩٨٧م، الصفحات: ١٣- ٧٠.

٣٧- العبد، محمد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣٨- عبداللطيف، محمد حماسة: الإبداع الموازي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٩- عبدالمقصود، حسن محمد: التكرار في سورة الرحمن، مجلة فكر وإبداع، القاهرة، ج٦٠، نوفمبر ٢٠١٠م، الصفحات: ١١- ٥٠.

٤٠- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، د.ط، د.ت.

٤١- عطاوي، الطيب: الاتساق والانسجام في بنية الخطاب القرآني، السنة: ٩، العدد: ١٠٠، الصفحات: ٩٦- ١٠٧، الجزائر، ٢٠١٤م.

٤٢- عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٣- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى: شرح أبي داود للعيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط:١، ١٩٩٩م.

٤٤- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، و: محمد علي النجار، دار السرور، د.ط، د.ت.

٤٥- فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، د.ت.

٤٧- القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط:٤، ١٩٩٨م.

٤٨- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.

٤٩- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب:

- مشكل إعراب القرآن، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٥هـ.
- الهداية الى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة

بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ٢٠٠٨م.

٥٠- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل القرشي الدمشقي: فضائل القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٧م.

٥١- الكرماني، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة.

٥٢- كوين، جون: بناء لغة الشعر، ترجمة : د. أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م.

٥٣- الليثي، أحمد عبدالفتاح محمد علي الليثي: التكرار اللفظي في القرآن: ترجمة المعنى أم الشكل، مجلة جامعة الملك سعود (اللغات والترجمة)، المملكة العربية السعودية، المجلد: ١٩، ٢٠٠٦م، الصفحات: ١٧- ٣٤.

٥٤- محامدية، سمية: دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، رسالة ماجستير، إشراف: د. ليلى كادة، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢-٢٠١٣م.

٥٥- محمد، سعد عبدالعظيم: التكرار في القرآن الكريم، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (الإصدار الرابع)، مصر، المجلد: ٥، العدد: ٢، ١٩٩٧م، الصفحات: ٨- ٣٦.

٥٦- مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٧- ميشال، جوزيف: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤.

٥٨- النووي، يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا: تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دمشق: دار القلم، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٥٩- هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦٠- اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك: أمالي اليزيدي، تحقيق: الحبيب عبدالله بن أحمد العلوي الحسني الحضرمي، جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، ط:١، ١٩٣٨م.

٦١- ابن يونس، شهرزاد: التكرار الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية في سورة الرحمن، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد: ٥، ٢٠٠٩م، الصفحات: ٧١- ٩٢.